

كليوباترة السابعة

بقلم : ثريا توفيق

إهداء

إلى أرواح أولئك الذين

استشهدوا من أجل مصر

بين بطليموس وقيصر

- ١ -

حين قسمت أملاك الاسكندر الأكبر «المقدوني» كانت مصر من نصيب بطليموس صديقه وأحد قواده قام بحكمها باسم خليفته .. ولكنه منذ اللحظة الأولى عول على الاحتفاظ بها لنفسه واقتطاعها من نفوذ مقدونيا . وأخذ يعمل على جمع السلطان بين يديه حتى استقل بها نهائيا وأصبح ملكا مستقلا عليها .

وقد حكمت أسرته البلاد من بعده مدى قرنين ونصف القرن من الزمان . وكان حكم البطالمة فى أول الأمر هينـــا حكيما ولكن ملوكهم انقلبوا مستهترين فيما بعد .

ولم يكن البطالمة مصريين بل كانوا مقدونيين لم تجر فى عروقهم قطرة دم مصرية واحدة . وكانت عاصمتهم . الاسكندرية . مدينة يونانية أكثر منها مـدينة مصرية . فكانت مبانيها ومعابدها مقامة على الطراز اليونانى . وكانت الروح اليونانية تسودها . وكان الزى اليونانى شائعا بها كما كانت اللغة اليونانية فيها هى لغة الحديث .

ولقد حمل البطالمة ألقاب الفراعنة وارتدوا زيهم الرسمى فى الحفلات الرســمية . بل وتقربوا الى المصريين بأن قدموا القرابين لمعبــوداتهم . وساهموا فى تشييد أو تجديد معابدهم . ولكنهم برغم ذلك كله لم يندمجوا فى المصريين اندماجا يخرجهم عن أصلهم المقدونى .

وصفحات تاريخ البطالمة — اذا نحن اســتثنينا الثلاثة الأول — حافلة بالمساوىء ، ملطخة بالآثام ، مسودة بجرائم القتل الدنيئة ، مما لا يتفق والروح المصرية المسالمة الوادعة .

فبطليموس الرابع مثلا قتل اباه بطليموس الثالث . كما دبر فى الوقت ذاته مقتــل أخيــه ماجاس وعمه ليزماك وأمه برنيس وزوجه ارسينويه .

أما بطليموس الخامس فكان يقتل كل من يراه عدوا له .. وما أكثر أعداء أصحاب النفوذ ..

أما بطليموس الثامن فقد قتل ابن أخيه وريث العرش وتزوج من أم القتيل الملكة الارملة كليوباترة الثانية التى أنجبت له طفلا مشكوكا فى ابوته فقتله وأرسل جثته الى أمه ثم تزوج على أثر ذلك من ابنة أخيه كليوباترة الثالثة التى قتلت كليوباترة الثانية حين ترملت • كما حاولت أن تقتل ابنها بطليموس التاسع الذى اعتلى العرش فقتلها قبل أن تقضى عليه •

أما بطليموس العاشر فقد انتزعته أمه بعيدا عن العرش ووضعت بطليموس الحادى عشر مكانه . ولكن هذا الأخير قتلها .

اما بطليموس الثانى عشر فقد قتل زوج أبيه بعد أن تزوج منها هو نفسه ثم قتل فيما بعد •

حتى بطليموس الثالث عشر والد كيلوباترة العظيمة (السابعة) فقد قتل ابنته برنيس كما قتل أشخاصا آخرين •

وهكذا نرى أن البطالمة جميعا — باستثناء الثلاثة الاول — ارتكبوا من المخازى والجرائم ما ينزل بهم عن مستوى الآدميين • وبرغم أنهم أدوا خدمات جليلة للعلوم والفنون وسجلوا للاسكندرية فى عهدهم عصرا ذهبيا فى نواح كثيرة ، الا أن حياتهم الشخصية المليئة بالمباذل والمجون والخلاعة والفجور تصم أسرتهم بوصمة لا تمحى •

— ٢

كان لبطليموس العاشر ابنان غير شرعيين ربما كانا من كليوباترة الرابعة التى طلقت من أبيهما عند ولايته للعرش •

وبعد موت بطليموس الثانى عشر نصب أحدهما نفسه ملكا على البلاد تحت اسم بطليموس الثالث عشر • وكان أرشد الذكور فى الأسرة • فرضى به السكندريون ملكا •• ولم يكونوا يملكون غير ذلك فان رفضهم اياه كان معناه قبولهم لمبدأ انقطاع خط الأسرة واحتلال الرومان للبلاد •

وحين اعتلى بطليموس الثالث عشر عرش البلاد اتضح له أن بطليموس الثانى عشر كان قد أوصى بأن تصبح روما وريثة له . وبعد محاولات لم تخل من المعارضات العنيفة — والرشوة — قبل الرومان النصح الجديد . فبقى بطليموس الثالث عشر على عرش مصر وان لم يعترف به رسميا . وكان دائم القلق على عرشه . فأغرق همومه فى

الخمر والموسيقى . ثم راى ان يزور روما واستدان الأموال ليرشو شيوخها ... ولكن ابنته برنيس الرابعة اعتلت العرش فى غيبته ، وهى ابنته من زوجته السابقة كليوباترة الخامسة) . وكان بالقصر أربعة أطفال من زوجة أخرى من بينهم اثنان اعتليا العرش تحت اسم بطليموس الرابع عشر والخامس عشر . وثالثة هى أرسينويه التعسة . ورابعة هى كليوباترة السابعة التى ولدت فى شتاء ٦٩ – ٦٨ ق . م والتى كانت تبلغ اذ ذاك الحادية عشرة من عمرها .

وأرسل السكندريون بعثة لخلع الملك . ولكن افرادها الذين لم يقبلوا الرشوة قتلوا عن آخرهم . وانتقل الملك بعد ذلك الى أفسس . ثم حاول بومبى فى يناير سنة ٥٥ ق.م بعد ثلاث سنوات أن يساعده فى العودة الى العرش . فخشى شيوخ روما من نفوذ بومبى ومن وقوع مصر تحت سلطانه كأثر لذلك ... وعرض بطليموس ما يعادل مليونين ونصف المليون من الجنيهات ثمنا لمملكته . وجرد جيشا لغزوها ولكن برنيس الرابعة كانت قد تزوجت من أرخاليوس ... وسار الجيش من غزة الى الفرما وكان على رأس الفرسان شاب يدعى مارك أنطوار فسقطت الفرما فى يده . ثم تقدم نحو الاسكندرية وقتل أرخاليوس .. وهكذا استعاد أوليت (بطليموس) عرشه وقتل برنيس الرابعة ... وبقى بالاسكندرية عدد من الجنود الكلت والجرمان ليحافظوا على النظام . . وكانت كليوباترة اذ ذاك فى الرابعة عشرة من عمرها . ويقال : انها فتنت فى فجر شبابها قائد الفرسان بسحرها وجاذبيتها . ولعل هذا الحادث كان يمر دون ان يثير انتباها . لولا اثره الحاسم فى حوادث المستقبل .

– ٣

مات بطليموس أوليت (أو بطليموس الزمار) عام ٥١ ق . م قبل أن يجنى ثمار جهاده تاركا وراءه أربعة أطفال اكبرهم كليوباترة فى الثامنة عشرة من عمرها . وكانت تليها اختها أرسينويه التى تمقتها ثم طفل فى العاشرة أو الحادية عشرة وهو الذى أصبح فيما بعد بطليموس الرابع عشر . ثم طفل آخر فى السابعة وهو الذى أصبح فيما بعد بطليموس الخامس عشر .

وترك بطليموس الثالث عشر وصية من نسختين تركت الأولى بين يدى بومبى فى روما . وبقيت الاخرى فى الاسكندرية . وقد اوصى بزواج

ارشد البنات بارشد البنين . وأوصى بالرومان أوصياء على العرش ..
وامتازت الوصية بروح من القلق ربما كان مأتاها وجود اربعة من الذكور والاناث وهى من أخطر الأمور فى بلاط مثل بلاط البطالمة .

وكان معنى اشتراك كليوباترة مع بطليموس الصغير فى الحكم أن تزوج منه . ولكن يظهر أن هذا الامر عدل عنه مؤقتا لصغر سن الملك .

اما بطليموس الرابع عشر فقد وضع تحت رعاية الخصي بوثينوس وكان له مرب يونانى هو ثيودوتوس ورائد حربى هو اخيلاس المصرى قائد جيوش القصر .

وتقلد هذا الثالوث السلطان . وبدءوا يجمعون النفوذ فى أيديهم ويظهر أن رجال كليوباترة كانوا أقل منهم نفوذا . وبرغم أن السلطات الملكية كانت تؤدى عن طريقها . الا أن حكام البلاد الحقيقيين كانوا فى هذه الفترة الأوصياء الثلاثة .

وفى عام ٤٨ ق.م بلغت كليوباترة الحادية والعشرين من عمرها وبلغ اخوها الرابعة عشرة من عمره ... ولا نعرف اى الأحداث وقعت فى هذه الفترة . ولكننا نرى بطليموس الصغير ينفرد بحكم البلاد . يسسنده الأوصياء الثلاثة .. ونرى كليوباترة تفر خشية على حياتها الى سورية حيث تجهز جيشا ويقف بطليموس ملك مصر بجيشه على الحدود الشرقية ليمنع أخته من العودة الى بلادها .

٤ -

وفى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٤٨ ق.م رست مركب تحمل بومبى المهزوم وزوجه كورنيليا .. وكان بومبى حامى عرش البطالمة ورمز روما وسلطانها لدى السكندريين فى حين كان خصمه يوليوس قيصر نكرة لا يعرفون عنه كثيرا أو قليلا .

وقد رأى الأوصياء قتل بومبى وانفذوا أخيلاس لاحضاره . وحين رسا المركب وهم بومبى بالنزول طعنه احد الرجال فى ظهره ثم هاجمه سلفيوس واخيلاس . ولم ينبس بومبى ببنت شفة بل تأوه قليلا ثم غطى وجهه بعباءته وسقط الى قاع القارب حيث مات .

وكانت زوجه على ظهر مركبها ترقب الحادث . فندت عن صدرها

صرخة اليمة سمعت فى الشاطىء . وامرت بمركبها ان ترحل فى الوقت الذى كانت تحمل فيه راس بومبى الى بطليموس .

وبعد ثلاثة أيام وصل قيصر فى مطاردته لبومبى الى الاسكندرية . وعلم بمصير خصمه . فلما قدمت له رأسه وخاتمه بكى .

وخرج ثيودونوس (القاتل) مبهوتا وفر لينجو بعمره وظل متردا فى سورية وآسيا الصغرى حتى عرفه بروتس بعد مقتل قيصر فصلبه.. اما قيصر فأمر بارسال الرماد المتخلف من جثة خصمه الى زوجه كورنيليا. ثم ظلل بحمايته اعوان بومبى الذين كان قد أودعهم المصريون السجون .

وبقى قيصر فى الاسكندرية بعض الوقت فى القصر . فى الوقت الذى لم يكن به سوى بطليموس الصغير وارسينويه · وكأنما أراد أن تمر فترة قبل ان يعودَ الى روما بعد مقتل بومبى الذى كان الرومان يحبونه على كل حال . أما السكندريون فقد رأوا فى بقاء قيصر اصبع روما الغليظ فأثاروا الشغب وقتلوا عددا من أجناده فأرسل فى طلب مدد من آسيا الصغرى . ولما استقر الامر أرسل رسولا الى روما ينبىء بموت بومبى كما أرسل رسلا الى بطليموس وكليوباترة فى الفرما يدعوهما لايقاف الحرب والحضور للاسكندرية ليعرضا عليه أمرهما . وكان يرى ذلك حقا من حقوقه . فان اباهما ترك روما وصية عليهما وهو – بعد مقتل بومبى – صاحب الحق الاول فى أن ينفذها كما يرى .

وقد لبى بطليموس دعوته فورا فحضر الى الاسكندرية بصحبة وزيره بوثينوس وترك اخيلاس على راس الجيش فى الفرما واستضافهما قيصر فى قصرهما . وطالب الى بطليموس أن يسرح جيشه ولم يرض بوثينوس بذلك بل ارسل الى أخيلاس يطلب اليه الحضور بجنوده الى الاسكندرية . فلما سمع قيصر بذلك طلب الى بطليموس أن يبقى أخيلاس مكانه ولكن الرسولين لم يصلا فقتل أحدهما وجرح الآخر . ووصل اخيلاس الى العاصمة بجيش عدته عشرون ألفا من المشاة والفان من الفرسان · ولم يقلق ذلك الأمر قيصر فقد كان فى حوزته بطليموس الملك وبطليموس الصغير وأرسينويه وبوثينوس . وكان البحر أمامه وبه سفنه يستطيع أن يهرب فيها اذا ادلهم الخطب .

ولم يكن قيصر يستطيع أن يبت فى الأمر دون قدوم كليوباترة . فهى الطرف الثانى فى النزاع .. وهى من ناحيتها لم تجسر على أن تسلم اخيلاس زمامها . ولذا فكرت فى أن تصل الى الحكم فى قصره . فانتقلت

بحرا من الفرما الى الاسكندرية ومعها مستشارها الأمين ابولودور الصقلى وانتظرت حتى دخل الليل فأمرته أن يلفها فى بعض الأغطية وأن يضع حبلا حول اللفافة .. ولما كانت صغيرة الجسم فانها لم تكن حملا ثقيلا على كاهل أبولودور .. والواقع أن خروج رجل ومتاعه فوق كتفه من الميناء كان أمرا عاديا لا يستلفت الأنظار .. ولا بد ان قيصر تملكته الحيرة والعجب حين فتحت هذه اللفافة أمامه .. ولابد أنه قدر ذكاء الحيلة وهذه العبقرية ..

ولنا أن نتخيلها تنفجر ضاحكة من مغامرتها التى فتحت لها قلبه كما فتحه جمالها ..

واستمرت سواد الليل تحكى قصتها مذ خرجت هائمة على وجهها فى عتمة الليل هاربة من مملكتها ... وكان يصغى لها بشغف وربما بحب وليد .

٥ —

كانت كليوباترة فى الحادية والعشرين من عمرها عذراء لم تتناولها الألسنة بسوء . وكان كل همها أن تصون ملكها وأن تحكم شعبها وكانت زوجة عذراء لم ترض بزوجها الطفل فنحته بعيدا عنها وشغلت نفسها بما هو أسمى .. حبها لعرشها .

ولنا أن نتخيلها فتاة ضئيلة الجسم لها أنف يونانى وبشرة بيضاء لوحتها شمس الشرق .. وفم ذو تكوين كأنما نحته نحات وعينان واسعتان تحت حاجبين مقرونين وخد وذقن كاملا الاستدارة . ولعل أفتن ما كانت تمتاز به نبرات صوتها . فقد كان لها صوت أخاذ . وبرغم أنها لم تكن تمتاز بجمال ساحر فانها وهبت جاذبية عنيفة تضطر جليسها الى أن يحبها ويجلها .

ولقد كان ذلك الصوت سلاحا قويا فيه حلاوة وفيه قوة وسحر يدفعان المرء الى الاصغاء اليها . ولقد احسنت دائما استغلال هذا السلاح وساعدها على ذلك تعمقها فى العلوم والفنون وروحها المرحة وميلها للدعابة .. كانت تعلم اذن قوة تأثير مواهبها التى حبتها بها الطبيعة فأحسنت استغلالها .

أما قيصر فكان رجلا يكبرها كثيرا .. له سمعة من الناحية الجنسية

لم يذكرها أحد المؤرخين بخير .. فقد اشتهر بافساد زوجات وبنات أصدقائه ، بل كانت سمعته السيئة فى هذا المضمار مما لا يصدقه العقل. وكان اغراؤه للعذارى مضرب الأمثال ·· وكان لا يرعى حرمة لصديق أو قريب .

ـ ٦

حين اسنفر قيصر للمرة الاولى فى القصر الملكى بعد مقتل بومبى كان يرمى أولا الى كسب بعض الوقت حتى يخف أثر عودته على نفوس الرومان . ولكن عاملا آخر . هو هذه الملكة الشابة التى الهبت خياله وربما اوحت بمناح عدة فى أفق مستقبله تدخل فى المساعدة على ارجاء عودته ورُبما رأت فى عينيه فى تلك الليلة رغبة ملحة فيها من الناحيتين العاطفية والسياسية . ورأى من ناحيته أن اخضاع هذه المرأة لحبه يحقق أمر ارتباط مصر ــ مخزن حبوب العالم ــ بروما وبضمها تحت نفوذها . وهى اهم سوق تجارية فى البحر الابيض . والعامل الاول فى شئون الشرق السياسية وبوابة ممالكه العظيمة .

وكليوباترة هى بعد امراة جديدة لا خبرة لها بأساليب المحنكين امثال قيصر . فهى ان رضخت « فانما المراة فيها هى التى ترضخ وتستلين » وان أستجابت فانما العاطفة هى التى تسيرها لا يدعمهاعقل أو بعد نظر .

وقبل أن تتسلل الى غرفتهما اشعة شمس مصر المشرقة كانالرجل قد وعدها أن يرد اليها عرشها ... ولما طلع النهار ارسل فى طلب بطليموس الذى صعق عند رؤية أخته بجوار قيصر . وقد اشتد عليه قيصر فى اللوم لعدم انفاذ وصية أبيه · فخرج من الغرفة ثائرا محنقا والقى الشعار الملكى على الأرض وانفجر باكيا . ثم عقد قيصر اجتماعا آخر حضره بطليموس كما حضرته كليوباترة . وقرأ فيه قيصر الوصية التى تركها أبوهما والتى نص فيها على أن يحكما معا . وبين أن منحقه كممثل لروما أن يشرف على انفاذها بنفسه .

ولا شك أن بطليموس قد قدر منذ هذه اللحظة أن آماله قد تحولت الى رماد ما دام قد قبل أن يبقى تحت رعاية أخته . أما كليوباترة التى كانت شاردة منذ ساعات قلائل فلم تصبح ملكة مصر فحسب . بل كسبت قلب ذلك العاهل الكبير .

واراد قيصر ان يرضى المصريين فوهب مصر قبرص التى كانت قد سلخت منها أيام بطليموس أوليت وملك عليها بطليموس الصغير وارسينويه . ثم تحبب الى المصريين أبعد من ذلك فخفض الديون التى استدانها أوليت لتثبيت عرشه الى ما يعادل ٤٠٠,٠٠٠ جنيه فى مقابل نصف الدين ولكن برغم ضآلة هذا المبلغ فان مكايد بوثينوس أبت الا ان يسحب الاطباق الذهبية الملكية واوانى المعابد الذهبية ويستبدلها بفخار وأخشاب . وأذاع ذلك فى المصريين حتى يثيرهم ولم يتردد فى أن يقدم للجند الرومان أحط أنواع الحبوب . وأن يجابه قيصر بأنه خير له أن يريح نفسه من التدخل فى شئون مصر ما دامت هناك أمور تستدعى عودته الى روما . ثم تآمر مع أخيلاس فأحرق الاسطول وامتدت النار الى بعض المبانى فى الميناء . ويقال ان جانبا من مكتبة الاسكندرية قد دمره ذلك الحريق .

وخشى قيصر على حياته فاستولى على منارة الاسكندرية كى يؤمن مدخل الميناء حتى يجد مخرجا له فى الوقت المناسب . ولكن مكائد بوثينوس لم تكن مما يشغل باله كثيرا . فقد كان هدفا لكثير من ألوان الانتقام وبرغم ذلك نراه يحكم حبائله حول الملكة الشابة ويظهر أنه لم يبذل جهدا كبيرا فى هذه الناحية فقد أحست من ناحيتها بحب له . فهذا أول رجل قوى تقابله . وهو رجل كفيل باشباع كل رغباتها . وأحست بلذة الحب الاول . كما رأى قيصر فيها – وهو رجل فى أواسط العمر – فتاة : ملء برديها حيوية وشباب وجاذبية واغراء . وبرغم أن قيصر لم يكن فى سن الشباب الا أنه كان محبا مثاليا . فملامح وجهه الدقيقة وهيئته الرياضية الرشيقة ومغامراته الحربية والعاطفية السابقة . كلّ هذه كانت كفيلة باغواء أية امرأة فضلا على فتاة ساذجة يطرقّ الحب باب قلبها للمرة الاولى .

وكان قيصر فى هذه الفترة بعيدا عن المشكلات والمشاغل وفضى زمنا طويلا يلهو ويمرح . وحين جاءه النبأ فى ٢٥ من أكتوبر أنه نصب دكتاتورا لعام ٤٧ ق.م أحس أنه لم يعد هناك ما يقلقه ... وفى الوقت الذى كان بطليموس التعس يتعثر وراء الستار كان قيصر وكليوباترة يظهران معا دائما يعلو وجهيهما البشر والسرور. أما قيصر فلم يكن هناك مايكترث له فى قليل أو كثير من وراء هذه العلاقة . وأما كليوباترة فكانت امرأة مبتدئة ليست بعيدة النظر ولا تقدر العواقب وتخشاها . وبرغم أنها

كانت الزوجة الشرعية لبطليموس الا ان الزوجية لم تكن قد تمت بينهما بالمعنى المفهوم .

٧ -

وحدث حادث أو حادثان ضايقاهما وقتا ما .

أما الاول فهو هرب الاميرة أرسينويه مع مربيها جانيميد الذى فر بها الى صفوف المصريين ليتوجها ملكة فى الوقت الذى كان أخوها وأختها أشبه بالأسرى فى معسكر الرومان بالقصر الملكي .. وقد قدمت أرسينويه الرشى الى الضباط والموظفين ولكن النزاع اتصل بين جانيميد واخيلاس وانتهى بمقتل الاخير . وكان قبل موته على اتصال ببوثينوس يدبران مكيدة لمقتل قيصر وتهريب بطليموس من القصر قبل أن تستولي أرسينويه وجانيميد على زمام الامور . وقد أدلى حلاق قيصر لمولاه بهذه المعلومات فقبض على بوثينوس فى ليلة حافلة وقطعت رأسه كما فعل مع بومبى من قبل . وهكذا شرب من الكأس التى جرعها غيره .

أما الحادث الثانى فكان تسميم قنوات المياه . ولكنه تغلب على هذه العقبة . وجاءته الأنبـــاء بالامداد من الرجال والعتاد فحطم البقية الباقية من المقاومة فى الميناء وأصبح بذلك سيد الموقف لولا أن عنـــاد المصريين كثيرا ما كان يكلفه عددا من خيرة رجاله بل كاد يكلفه يوما حياته لولا أن قفز من قاربه الى الماء وسبح الى البر وهو يرفع فوق المـــاء بعض الاوراق الهامة وثوبه الحربى القرمزى بين أسنانه . والتقطته احدى ســـــفنه وأعادته الى القصر مقرورا بعد أن فقد وشـــاحه الذى يحمل شاراته .

والواقع أن قيصر لم يكن يرغب فى الاسراع للعودة الى روما فقـــد كان ذلك مستطاعا ومأمونا فى أى وقت . وكان زمام الأمور متروكا فى يد أمينة هى يد رجله أنطوان . وكان يفضل أن يقضى الشتاء فى مصر . كما لم يكن هناك ما يقلقه من ناحية الغرب فأطماعه هناك قـــد انتهت . وربمـــا كانت هزيمته فى معـــركة القـــوارب حافزا له على الانتقـــام من الاسكندرية . ويظهـــر أنه علم ان جيشا كبيرا يســـير من ســـورية عبر الصحراء لمعاونته بقيادة مترپادس ورأى أن هذا الجيش كفيـــل باخماد كل مقاومة وباخضاع مصر له وهكذا يمكنه أن يترك الامور فى يد كليوباترة التى تصبح بذلك ملكة البلاد فتدين له بكل شىء .

ولقد فشلت أرسينوية فى أن تنصب نفسها ملكة على مصر برغم جهود جانيميد ، وكان الجيش يبذل قصارى جهده ليعمـل تحت لواء بطليموس ولذا رأى قيصر أن يسلمه لهم حتى يمكنه أن يشهر حربا على ملك لا على طغمة من الرعاع وحتى لا يصبح ذلك الطفل عقبة فى سبيل تنفيذ أغراضه لمصلحة كليوباترة .

والواقع أن قيصر لم يسلمهم بطليموس الا حين وصـل الجيش - جيش متريادس - فهو انما سلمه للموت أو الهزيمة أو العـار .. وقد قدر بطليموس ذلك تماما فحين طلب اليه قيصر ان يذهب الى أحد أصدقائه وراء خطوط الرومان انفجر الصبى باكيا والتمس أن يبـقى بالقصر - وكان يعلم أن لا أمل هناك فى النصر كما كان يعلم أنه سيعاقب عند الهزيمة كعـدو - ولم يكترث قيصر بدموع الصـبى بل دفعه الى أحضان السكندريين المتلهفة ولم يبق بالقصر سوى بطليموس الصـغير وكليوباترة .

وخرج بطليموس على رأس جيوشه لقتال متريادس وخرج قيصر بأسطوله الى الشرق كأنما يقصد لقاء أعوانه . ولكنه غير طريقه ونزل الى غرب الاسكندرية وسار فى الصحراء الغربية فى الوقت الذى كان المدد اليه آتيا من الشرق . فتقابلا فى مكان لا يبعد كثيرا عن شمال منف وحصرا فيما بينهما الملك الصغير الذى تحصن عند طرف تل على أحد جانبيه فرع من فروع النيل وعلى الجانب الآخر مستنقع وامامه قناة .. وبعد معركة استمرت يومين انتصر قيصر وحليفـه ودارت الدائرة على بطليموس . فقفز الى أحد القوارب المليئة بالرجال فانقلب القارب وغرق الملك . ويقال انه أمكن تمييز جثته فيما بعد بشاراتها الملكية . وقـد ساعدت حليه الذهبية على التعجيل بوفاته . وقد اراح موته قيصر من تنفيذ وصية أوليت ومن أخذ بطليموس أسيرا الى روما وانفاذ العقوبة المحتومة فيه .

وفى السابع والعشرين من مارس عام ٤٧ ق.م دخل قيصر مدينة الاسكندرية منتصرا ولبس سكانها الحـداد . وارسـلوا اليه الرسـل يلتمسون رحمته ومغفرته . واحضروا تماثيل آلهتهم توكيدا لخضـوعهم المطلق . كما سلموه أرسينويه وجانيميد كأسرى حرب ودخل الى القصر الملكى ممتطيا صهوة جواده . واخذته كليـوباترة بين احضانها كبطـل فاتح .. كمنقذ لها .. كحبيب عاد اليها بعد غياب .

٨ -

كان موت بطليموس وخضـــوع الاسكندرية لقيصر مؤذنا بانتهاء الحرب فاستقر قيصر بالقصر . وكان بطليموس الصغير طفلا فى الحادية عشرة من عمره . ولم يكن ندا لقيصر أو كليوباترة . وكان من المتـوقع أن يعود قيصر الى روما فى نوفمبر . ولكن شهورا طويلة مضت ولم يحاول التفكير فى الرحيل بل ربما كان مدار الحديث فى خلواته مع الملكة الفاتنة كنوز مصر وارضـها الفنيـة ومواردها التى لاتنفـد وتجارة الهند .. واثيوبيا .. وربما دفعته هذه الاحاديث الى أن يطيل مكثه الى جانب الملكة ليستقى منها ما يريد من معلومات الى جانب متعته بالبقاء معها .. يضاف الى ذلك أن أمرا آخر منعه من الرحيل .. ذلك أن كليوباترة سوف تصبح أما فقد أمضى فى مصر أكثر من سبعة شهور وها هى ذى ثمـرة اقامته بالقصر توشك أن تأتى الى العـالم . ولا بد ان موقفه بالنسـبة لهذه المرأة يختلف كثيرا عن موقفه مع غيرها من النساء اللائى عرفهن من قبل .. فان كليوباترة قد أمكنها أن تحتفظ به هذه الشهور الطـوال فألانت من طبعه واستجاب لعاطفتها وأصبح يأمل أن يرى ثمرة علاقته بها . وهى بعد ملكة وليست امراة من عامة الشعب .

ولقد وافق على أن يعترف به المصريون زوجا الهيا للملكة يتجسد فيه جوبيتر ــ آمون بعد موت بطليموس الرابع عشر وساعدت على ذلك دعاية كليوباترة من أن قيصر هو اله مصر الأكبر الذى أتى الى العـالم وان الطفل المنتظر كان ثمرة ذلك الاتحاد الالهى . وقد مثلت على حوائط المعابد المصرية وبخاصة فى أرمنت رسوم بارزة وغائرة تمثلها على اتصال بالاله آمون الذى يظهر فى شكله الانسانى وتظهر الآلهة كأنما تساعد فى عملية ميلاد الطفل . والواقع أن مثل هذا الامر اثير من قبل عند مولد حتشبسوت وأمنمحتب الثالث حين كانت الأبوة الملكية موضع جدل فاضطروا الى ادخال العنصر الالهى فيها .. وفى حالة كليوباترة هذه نرى العقول المصرية مسـتعدة لقبول الفكرة وكانت الحوادث تؤرخ فيما بعد فى السنين الأخيرة من حكم الملكة ــ من تاريخ هذه الظاهرة الشاذة فيقولون مثلا « السنة العشرون من ارتباط كليوباترة بآمون » .

وسر قيصر أن يعرف فى مصر كاله كما تم مع الاسكندر وكان يفخر دائما بنسبه الالهى وكانت عائلته تتناسل من فينوس عن طريق انجيس فايناس .. وكانت كليوباترة فى نظر المصريين الها فزوجها اله حين يتم اتصاله بها رسميا . ولقد أفلحت كليوباترة فغذت أحلامه وأشـبعت

غروره وجعلته الها مثلها واصبح هذا الوهم حقيقة ثابتة لديه بمـرور الزمن حتى حين عاد الى روما ·

ولقـد عـرف قيصر فى مصر كملك وان لم يتـوج وكان المصريون مستعدين ليمنحوه عرش البطالمة كمـا فعلوا مع أرخيلاوس حين تزوج من برنيس الرابعة . ولم يكن هناك شيء يدخل السرور الى قلوبهم أكثر من زواج ملكتهم بأقوى رجل فى روما .. أما كليوباترة وقيصر فلا بد أن الخيال راودهما كثيرا لتحقيق أمنية تقوية مصر وحكمها بعيدة عن نفوذ روما .. ولقد كانت وطنية مخلصة تقدر مصلحة وطنها وأسرتها . ولقد رأت أن الرجل الذى أحبته وأحبها سيصبح سيد روما وأملاكها . وأن الطفل الذى سيأتى كثمرة لعلاقتهما سيصبح وريث ملك العالم . ولقد أمضت أسرتها السنين الطوال تخشى أن تمتد اليها براثن روما.. أما الآن فهناك أمل يتزايد فى أن تصبح صنوا لروما . وكانت تطمع فى أن تصبح هناك امبراطورية مصرية رومانية .

ولهذا فان سياستها كانت واضحة فكانت تقـوى فى نفس قيصر الأطماع نحو الملكية وتحاول أن ترتبط به برباط يرفعها معه الى عرش العالم وأن تملأ عليه وقته حتى يحس بعظمتها وعلو قدرها . وأن توحى اليه بأنه لا يستطيع بدونها أن يرقى الى حكم العالم وهى الشمس أخت القمر المساوية لفينوس ولآلهة الأولمب . التى سيصبح نسلها ملوك الارض والسماء ... وكان لها من شخصيتها القوية ونفوذها ما ساعدها على ذلك .

ولقد كان قيصر من أصل نبيل ولكنه لاينحدر من سلالة الهية مثلها · ومادام الملوك يؤيدون سلطاتهم عن طريق الحق الالهى فان فى كليوباترة مايكمل هذه الناحية التى تنقصه ·

ورأى قيصر أن يقوم بجولة فى البلاد فى رحلة نيلية على فلك يحيط به ٤٠٠ قارب وكانت المركب الملكية كبيرة الحجم جدا بها ابهاء ذوات عمد وبها صالونات وغرف للجلوس والنـوم وهياكل لفينـوس وديونيزوس وكانت مصنوعة من الأرز ومحلاة برقائق الذهب وكان أثاثها يونانيا ماعدا عرفة المائدة فقد كانت على الطراز المصرى · ومر الركب بمنف فى طريقه الى طيبة التى نقل منها مسلة الى الاسكندرية .. واسـتمر المـوكب الى أسوان بعد سيره أربعة أو خمسة أسابيع من الاسكندرية ثم عاود طريقه الى الاسكندرية بعد أن أشبع قيصر رغبته من رؤية البلاد والسؤال عن

•

الطرق التجارية الى برنيس والهند وسباتا وأثيوبيا .. ووصل الموكب الى القصر الملكى فى أواخر يونيو .

ووضعت كليوباترة وليدها فى الاسبوع الاول من يوليو وكان ذكرا تقبله المصريون كابن شرعى لارتباط الملكة بالاله آمون فى صورة قيصر - وسمى قيصرون وعرف رسميا باسم بطليموس السادس عشر وسمى فى النصوص المصرية « بطليموس المسمى قيصر » .

وهنا فكر قيصر فى العودة الى روما حيث تنتظره احداث جمة. فهذه بارثيا يجب أن يخضعها ثم عليه أن يفكر فى غزو الهند .. وحين يجد الجد سيعلن زواجه من ملكة مصر وسيربط بلادها بروما ويعلن نفسه ملكا على العالم ... ولقد كان من الممكن أن تتحقق أحلامه لو لم يعجل أعداؤه بقتله .

ويتهم المؤرخون قيصر بانه أضاع تسعة شهور فى مصر بغير طائل.. والواقع أنه كان يؤسس فى هذه الفترة امبراطورية رومانية ... ولقد عاقت قيامها خناجر أعدائه ولكنها فكرته واصلتها كليوباترة معأنطوان.. ثم أتمها أوكتافيوس .

بين قيصر وأنطوان

١ -

عاد قيصر الى روما بعد أن مر فى طريقه بانطاكية وافسس ثم زيلا حيث أخمد ثورة كانت قد قامت بها . ولكنه لم يمكث فى روما طويلا بل غادرها الى شمال افريقية ليحطم البقية الباقية من فلول بومبى الذين كانوا قد بدءوا يتجمعون . ثم عاد مرة أخرى الى روما فوصل فى الخامس والعشرين من شهر يولية عام ٤٦ ق.م وبدأ الاستعدادات لموكب النصر فى الشهر التالى . ويظهر انه أرسل الى كليوباترة يطلب اليها أن تحضر الى روما مع ولدهما .

وقد وصلت الملكة فى رأي بعض المؤرخين خلال النصر وفى رأى البعض الآخر بعده بفترة قصيرة . ونرجح أنها ذهبت الى روما بصحبة الأسرى المصريين ليلعبوا دورهم فى الموكب وهم الاميرة ارسينويه والخصى جانيميد وغيرهم .

ولنا أن نتخيل أية رجة أحدثها وصول الملكة المصرية .. فهذه عربات محملة بالبضائع ثم خصيان وعبيد يعلنون اقتراب مرورها وآخرون يتبعونها وهذا أخوها بطليموس الخامس عشر خشيت أن تتركه بالاسكندرية فيفعل ما فعله غيره من أسلافها ويعلن استقلاله بالبلاد .. اصطحبته معها فزاد فى زينة الموكب وغرابته . ثم هذا الطفل البالغ من العمر عاما واحدا وريث القياصرة والبطالمة محوطا بحرسه ومربياته لا بد انه استلفت الانظار . اذ أن كل رومانى حدس أبوته .. وقد استقرت كليوباترة فى بيت أنيق على ضفة التيبر اليمنى فى حين كانت زوجه كالبورنيا تعيش فى منزل آخر داخل المدينة .

ولم يعد ما بين كليوباترة وقيصر عاطفة جامحة اساسها الرغبة والاشتهاء بل مصلحة مشتركة . ولقد كانت الزوجية قائمة وكانا يرغبان اعلانها فى روما كما أعلنت فى مصر .

ولقد اثار وصول كليوباترة الى روما فضيحة لم يكترث لها قيصر

كعادته . وكان الرومان يرثون لكالبورنيا زوجة الدكتاتور الشرعيـة التي هجرها منذ زواجهما عام ٥٩ ق.م.

أما موكب النصر الذى احتفل به قيصر فى اغسطس لتسليمه روما فقد استمر أربعة أيام .. ومر قيصر فى اليوم الاول فى شوارع روما فى مظهره كقاهر للغال . وعندما دخل الليل صعد الى الكابيتول على ضوء المشاعل وحول عربته اربعون فيلا ـ يحملون حملة المشاعل . وفى نهاية الاستعراض قتل فرسينجتوركس الذى ظل سجينا مدى ست سنوات. وقد كان ذلك عملا قاسيا ضد عدو نبيل سلم نفسه لقيصر ليفتدى أهل بلده .. وكان من العدالة أن يعفى عنه لولا تقاليد الموكب .

اما اليوم الثانى فكان يوم الاحتفال بالنصر على المصريين وفى هـذا الموكب اقتيدت ارسينويه مكبلة بالأغلال وكذا جانيميد . أما الأولى فلم تقتل اكراما لكليوباترة . وأما الثانى فقد نفذت فيه العقوبة وحملت فى هذا الموكب صور اخيلاس وبوثينوس كما حمل تمثال ثيلوس القـديم ونموذج للمنارة ـ عجيبة الدنيا ـ وسارت فى الموكب حيوانات غريبـة لم ترها روما من قبل مثل الزرافة وكذا غرائب مصر واثيوبيا .

أما اليوم الثالث فقد مثل فيه فتح بونتاس .

وأما اليوم الرابع والاخير فكان خاصا بانتصارات شمالى افريقية.

وفى نهاية سبتمبر أثار قيصر الشعور مرة أخرى فى روما بأن كرس معبـدا فخما لفينـوس جنتريكس جـدته المؤلهة . ووضع فيـه تمثالا لكليوباترة كان قد نحته المثال ارخيلاوس . وكان لوضع تمثال كليوباترة مغزاه وكأنما أراد قيصر أن يظهر للرومان أنهذه الملكة الشابة التى تزين قصره على ضفاف التيبر ليست أقل شأنا من فينـوس . فهى ايزيس افروديت فى بلادها . وكأنما أراد أن يعتبرها الرومان الها صغيرا وهو اللقب الذى أطلق عليها من المصريين واليونانيين فى مصر .

ولقد صحبت تدشين المعبد ـ هيـكل كليوباترة ـ ولائم فاخـرة واستعراضات فذة منها ما يمثل معارك تدار على صفحة بحيرة صناعية. ولكن وضع تمثال كليوباترة لم يثر نقدا . فان روما كانت تحب الآلهة الأجانب « السـماوية أو المتجسـدة » . وكان أقربها اليهم ايزيس التى كانت ـ كفينوس ـ تتقمص كليوباترة والتى استمر تقديسها فى العقيدة الرومانية شائعا وبخاصة بين الطبقات الدنيا . وحين وضع فى عام ٥٨ ق.م.

قانون يحرم اقامة معابد أخرى فى مكان معين من المدينة لم يقدم رجل واحد على نقض حجر من معبد ايزيس مما دفع القنصل توليباس أن يفعل ذلك بنفسه .

وكان الشعب قد بدأ يهيل المجد فوق قيصر فلم يكترث لوجود عشيقة أجنبية معه فى روما قد تصبح زوجة له . فلقد كان الرومان خليطا من أجناس متعددة فلا يضيرهم أن يتزوج زعيمهم من سيدة يونانية .. ولكن الشعب الذى لم يكن متوقعا من الشعب ، كان من المتوقع أن تثيره طبقة معينة من الناس تتربص بقيصر وتحقد عليه وتكيد له . ولكنه مضى قدما يحاول الاصلاحات المختلفة فاستعان ببعض الفلكيين السكندريين الذين قرروا بعد دراسة طويلة أن عام ٤٦ ق.م يجب أن يمتد ١٥ شهرا أو ٤٤٥ يوما حتى يصبح التاريخ الاسمى متمشيا مع الفصل الحقيقى من السنة . ومن هنا كان التقويم اليونانى الذى لولاه لكنا نستعمل نوعا آخر من الشهور فى العالم كله .

ثم غادر البلاد للقضاء على ثورة قام بها أبناء بومبى فى أسبانيا عام ٤٥ ق.م فأخمدها بعد أن نصب دكتاتورا لعام آخر وأراد أن يظهر ألوانا من التسامح فأمر بتماثيل بومبى العظيم أن يعاد وضعها . ثم عفا عن الكثيرين من قواده وممن بينهم بروتس وكاسيباس ثم استقر فى روما ليستعد للقيام بحملة الى الشرق .. الى الهند .. ولم يفته فى هذه الفترة أن ينشد الاصلاحات الادارية .

٣ -

استقرت الأمور لقيصر وبدأ الرومان يخلعون عليه ألقاب الشرف فعين قنصلا مدى عشر سنوات وكان الحديث الدائر أنه سينتصب دكتاتورا مدى الحياة . واصبح مجلس الشيوخ ألعوبة فى يديه . وأصبح الناس يتحدثون علانية عن قرب ارتقائه العرش وكان من الواضح أنه كان يسعى لتنصيب نفسه ملكا الى جانب كليوباترة . وأن ينقل العاصمة الى الاسكندرية وموقعها يمتاز على موقع روما . ولكنه اكتفى بأن يطلق عليه لقب امبراطور وكان معناه اذ ذاك «القائد» وهو لقب وراثى كان من الطبيعي أن يأخذه عنه ابنه قيصرون .. ولغطت الألسن بأن قانونا على وشك الظهور سوف يمكنه من الاعتراف بزوجتين له — هما كليوباترة وكاليبورنيا — وأنه ليس من الضرورى أن تكون زوجه الثانية رومانية .

وكان قيصرون قد أصبح ملــــكا غير متــوج على مصر فان بطلميوس الخامس عشر اختفى من المسرح ولا ندرى أمات أم قتل . وان ذكر أحد المؤرخين أن أخته سمته .. وهو أمر يحتمل الكثير من الشـك .

وقد بدأ قيصر يباشر مظاهر الملكية فأمر بأن يوضع له تمثال الى جانب تماثيل ملوك روما السبعة الأقدمين وظهر فى زى مطرز مثل حكام البا الاقدمين وطبع صورته على العملة ومنح عرشا ذهبيا يجلس عليه بين الشيوخ . وحمل صولجا من العاج . ولبس اكليلا من الذهب وركب عربة ملكية يحرسها الشيوخ والنبلاء . ومنح الحق فى أن يدفن داخـل أسوار المدينة .

مثل هذه الامتيـــازات اذا أضفناها الى مظـــاهر الملكية والى لقب امبراطور والدكتاتورية مدى الحياة التى كانت على وشك أن ينـــالها فان هذه المظاهر كلها كان هدفها قريبا . وقد سارع باعلان نفســـه الها . ووضع له تمثال فى معبد كيرينوس كتب تحته «الاله الأزلى» .

وفى نهاية عام ٤٥ ق.م وبدء عام ٤٤ ق.م لم يعد هناك مجال للشك فى أنه سوف يعتلى العرش وكان الخلاف فى تحديد الموعد أيسبق حملة الشرق أم يأتى بعدها . وفى الخامس عشر من فبراير عين دكتاتورا مدى الحياة مما ضيق المسافة بين حالته الراهنة والملكية الحقيقية . وأصبح يعامل الشيوخ معاملة الرئيس لمرءوسيه وكان يود أن يأخذ الناس أقواله كقانون يطاع . وبدأت كراهية الرومان لكليوباترة وحاشيتها تزداد يوما بعد الآخر لأنه عهد للسكندريين بكل شيء حتى الشئون المالية وترتيب الحفلات وفن المعمار .

ومرت الاسابيع وبدات فكرة تعلقه بالملكيــة تتضح جليا مما أثار الحقد فى كثير من النفوس .. ولمـا رأى الثمرة لم تنضج بعد . تركها ونفسـه تفيض حسرة . وقد أشاع موقف كليوباترة فى نفسـه الكثير من القلق فهى قد أتته بوريث لم تتمكن كالبورنيا من الاتيان بمثله . ولكن لم يكن من السهل التخلص من كالبورنيا لاعلان زواجه من كليوباترة التى كان يشك فى قدرتها على تحمل أعباء الحكم مدى غيابه بعيدا عن روما لثلاث سنوات ولا بد أن تمهله فى خلق عرش يتبوؤه معها لمـا بعد انتهاء حربه مع البارتيين . أثار قلقها ، فهى قد عملت معه ثلاث سنوات من أجل تحقيق هذا الامل الذى كان معنى ضياعه ابتلاع مصر فى جـوف الامبراطورية الرومانية .

وكان يقام عيد لوبركاس فى الخامس عشر من فبراير كل عام وكان الرومان يقدمون ولاءهم فى ذلك اليوم للوبركاس الذى يعرفونه مرة بـ «فاونوس» وأخرى بـ «بان» فى صورته كمصدر للخصب . ويختار فى هذا اليوم رجلان يضحيان كلبا وعنزة ثم يقطعان جلد الذبيحة الى شرائط تستعمل أسواطا وتسمى «فبروا» ويجريان حول المدينة يضربان النساء اللواتى يقابلنهما وكانت ضربة السوط تؤدى أثرها المطلوب فتحمل المرأة على الفور . وكان قيصر يشرف على حفلة العيد من عرشه الذهبى . وكان أنطوان أحد الرجلين اللذين يحملان « الفبروا » . ولا بد أنه قدم خضوعه لقيصر ثم تقدم نحوه يحمل شعار الملك مكللا بالغار ويعرض عليه ملك روما فارتفعت الاصوات بالموافقة من القيصريين المنتشرين فى انحاء الفورم ولكن الشعب لم يرددها فاضطر قيصر أن يرفض التاج بقلب نصف محطم . . واستقبل الناس هذا العمل بعاصفة من التصفيق وهكذا ظهر شعور الشعب بجلاء . ثم عاد انطوان فقدم التاج مرة اخرى . ومرة أخرى سمعت التحيات المصطنعة . . ومرة أخرى رفضه قيصر فتعالى الهتاف أكثر من ذى قبل . فأمر بنقل الشعار الى الكابيتول وأن يكتب فى النتيجة الرسمية ما يثبت انه فى ذلك التاريخ عرض عليه الشعب التاج فرفضه .

وكانت حملة بارثيا تستعد للرحيل بعد شهر . ولابد أن قيصر طلب الى كليوباترة أن تجهز نفسها للرحيل الى مصر حتى ينتهى من حملته . ولا بد انها بدأت تحزم حاجاتها والحزن يخترمها من أجل تلك الآمال التى يأبى القدر الا أن يطيل فيها وتأبى الظروف الا أن ترجئها.

— ٩ —

لم يفسح قيصر صدره لانطوان برغم انه كان معروفا أنه من أشد الدعاة له . وقد رأيناه فى عيد لوبركاس يعرض التاج عليه . وقد اتهم انطوان بأنه يتآمر على حياة قيصر مع دولابلا (الذى كان قد أغرى زوجه انطوان فطلقها ليتزوجها دولابلا) . ولكن قيصر لم يعر الاشاعة اهتماما فقد كان لا يخشى الرجل الطرير بل النحيف مثل كاسياس . . وكان كاسياس قد حارب فى فرساليا ضد قيصر ولكن قيصر عفا عنه . وكان يكره كل ألوان الأوتوقراطية وقد أثارته رغبة قيصر فى ايجاد عرش . وربما كان هو منظم المؤامرة التى انتهت بمقتل قيصر .

نبتت بذور المؤامرة فى فبراير عام ٤٤ ق.م وقد اشتدت خيوطها حين انضم بروتس الى المتآمرين وكان يتمتع بكثير من التقدير وبعطف الدكتاتور وكان ينظر اليه كخليفته وربما كان سبب ذلك أنه كان يشك فى أنه ابنه .. فقد عرف قيصر سرفيليا أم بروتس قبل ولادة بروتس واستمرت علاقته بها بعد ذلك .. وهناك ما يدعو مثلا لاثارة بروتس ضد قيصر فقد كان خاله كاتو أبا لزوجته بورشيا ٠ وكاتو قد انتحر عقب هزيمة قيصر له فى شمالى افريقية . وهناك كذلك ما يحبب بروتس فى قيصر فقد كان قيصر أداة الانتقام من بومبى الذى حكم على والد بروتس بالموت ٠ ولكن بروتاس كانت له مثله العليا فلم يسمح يوما للشئون العائلية وللعواطف أن تطغى على ادراكه واحساسه الوطنى ٠ فاغواء أمه وقتل خاله وحميه لم يمنعه جميعا من أن يأتى أمورا ماكان يأتيها لو كان متأثرا بمثل هذه الأحداث ٠ ولذا نراه يتقدم فى الوقت المناسب لمعسكر بومبى الذى يتقبله كما يتقبل خروفا كان ضالا فوجده ٠٠ ثم جاءت معركة فارساليا ونجا بروتس بصعوبة برغم أن أوامر قيصر كانت صريحة فى ألا يمسه أحد بسوء فى المعركة أو بعدها ٠٠ وقد كتب لقيصر من لاريسا بعد المعركة يعلن استعداده للتسليم ٠٠ وعفا عنه قيصر فأهال عليه ألقاب الشرف ٠٠٠ وحينئذ أرشد بروتس عن مقر بومبى ومن هنا كان وصول الدكتاتور الى مصر صبيحة ذلك اليوم الذى أسلفنا الاشارة اليه ٠

كان بروتس شابا متوقد الذكاء وكانت تشيع فيه الحيوية وحرية الرأى والصرامة٠ ورأى كاسياس أنوجوده فى المؤامرةيضيف اليهاعنصرا قويا .. فدعاه ليكون حاضرا فى يوم مارس الذى أشيع أن قيصر سيتوج ملكا فيه . فقال انه سيكون متغيبا فى ذلك اليوم فطلب اليه كاسياس أن يبدى رأيه فيما اذا أصر قيصر على حضوره . فذكر انه سوف يدلى برأيه بصراحة وسيموت من أجل حرية بلاده ٠ وهكذا لم يعد من الصعب اشراكه فى عصبة السفاكين وبدأ المتآمرون يضعون أوراقا على كرسى بروتس فيها الكلمات « تيقظ يابروتس » و « أنت لست بروتس حقيقى» . و «لو كان بروتس حيا» . وقد لعبت الكلمات فى نفسه وكان لها أثرها الحاسم حتى قرر بروتاس بعد أيام أن من واجبه أن يقضى على حياة قيصر .

نبتت بذور المؤامرة فى فبراير عام ٤٤ ق.م وقد اشتدت خيوطها حين انضم بروتس الى المتآمرين وكان يتمتع بكثير من التقدير وبعطف الدكتاتور وكان ينظر اليه كخليفته وربما كان سبب ذلك أنه كان يشك فى أنه ابنه .. فقد عرف قيصر سرفيليا أم بروتس قبل ولادة بروتس واستمرت علاقته بها بعد ذلك .. وهناك ما يدعو مثلا لاثارة بروتس ضد قيصر فقد كان خاله كاتو أبا لزوجته بورشيا . وكاتو قد انتحر عقب هزيمة قيصر له فى شمالى افريقية . وهناك كذلك ما يحبب بروتس فى قيصر فقد كان قيصر أداة الانتقام من بومبى الذى حكم على والد بروتس بالموت . ولكن بروتاس كانت له مثله العليا فلم يسمح يوما للشئون العائلية وللعواطف أن تطغى على ادراكه واحساسه الوطنى . فاغواء أمه وقتل خاله وحميه لم يمنعه جميعا من أن يأتى أمورا ماكان يأتيها لو كان متأثرا بمثل هذه الأحداث . ولذا نراه يتقدم فى الوقت المناسب لمعسكر بومبى الذى يتقبله كما يتقبل خروفا كان ضالا فوجده .. ثم جاءت معركة فارساليا ونجا بروتس بصعوبة برغم أن أوامر قيصر كانت صريحة فى ألا يمسه أحد بسوء فى المعركة أو بعدها .. وقد كتب لقيصر من لاريسا بعد المعركة يعلن استعداده للتسليم .. وعفا عنه قيصر فأهال عليه ألقاب الشرف ... وحينئذ أرشد بروتس عن مقر بومبى ومن هنا كان وصول الدكتاتور الى مصر صبيحة ذلك اليوم الذى أسلفنا الاشارة اليه .

كان بروتس شابا متوقد الذكاء وكانت تشيع فيه الحيوية وحرية الرأى والصرامة. ورأى كاسياس أنوجوده فى المؤامرةيضيف اليهاعنصرا قويا .. فدعاه ليكون حاضرا فى يوم مارس الذى اشيع ان قيصر سيتوج ملكا فيه . فقال انه سيكون متغيبا فى ذلك اليوم فطلب اليه كاسياس أن يبدى رايه فيما اذا أصر قيصر على حضوره . فذكر أنه سوف يدلى برأيه بصراحة وسيموت من أجل حرية بلاده . وهكذا لم يعد من الصعب اشراكه فى عصبة السفاكين وبدأ المتآمرون يضعون أوراقا على كرسى بروتس فيها الكلمات « تيقظ يابروتس » و « أنت لست بروتس حقيقى» . و «لو كان بروتس حيا» . وقد لعبت الكلمات فى نفسه وكان لها اثرها الحاسم حتى قرر بروتاس بعد أيام أن من واجبه أن يقضى على حياة قيصر .

الشيوخ في ذلك اليوم . وكان هذا معناه في نظرهم أنه أحيط علما بالمؤامرة . وبلغ قلقهم حدا دفعهم الى أن يرسلوا دسيموس بروتس البينوس صديق الدكتاتور المقرب ليسرع في الحضور . وقد وجده دسيموس يستعد لتأجيل اجتماعه بالشيوخ بعد أن أثارته مخاوف كالبورنيا . وهنا يقال ان دسيموس ذكر له أن حضوره لا مناص منه مادام الشيوخ يودون أن يعرضوا عليه ذلك اليوم ملك روما خارج ايطاليا ويخولونه حق وضع الشعار الملكي خارج ايطاليا . وأنه ليس من الانصاف أن يفض الاجتماع من أجل مخاوف امرأة . وليس من شك في أن هذا الحديث حول مجرى أفكاره اذ رأى الفرصة التي طالما ترقبها تواتيه .. وأول الغيث قطر .. وسوف يؤسس لنفسه عاصمة وسيمزج أملاكه بأملاك كليوباترة وسيرثه أكتافيوس في روما وقيصرون في أملاكه خارج روما . وسيدفع ارتقاؤه روما الى الاعتراف به ملكا عليها وهنا سوف لا تمتص روما مصر بل ستتعاون معها وسيسر هذا العمل كليوباترة التي ظلت أسرتها تخشى دهرا كاملا غائلة الرومان .

وليس من شك في أن هذه الأفكار راودته فسحب دسيموس الى خارج البيت وانطلق نحو الشيوخ يحدوه الأمل .. وحاول رجلان في الطريق أحدهما خادم والآخر مدرس منطق أن ينبئاه بالخطر الذي يتهدده . وكررت له العرافة تشاؤمها من ذلك اليوم ولكن الاطماع كانت قد خدرت أعصابه . وكان حديث الاخطار مما يدفعه للعمل .

وظل المتآمرون قلقين وقتا طويلا فقد علموا أن نبأ المؤامرة تسرب الى غيرهم فهذا بوبيلياس لينا يعرف أمرها . وهذه بورشيا قد أصيبت بنوبة وخشوا أن تكشف في هذيانها اللثام عن المؤامرة . ولم يفرغ روعهم حتى رأوا قيصر قادما من بعيد ومعه بوبيلياس لينا . ورئي وهو يتحدث الى قيصر وقيصر ينصت اليه مليا ثم ينصرف عنه .. وقد عن للمتآمرين يعطلوا انطوان عن موكب قيصر فلم يكن من رأيهم أن يغتالوه . ولذا أرصدوا له تريبوناس ليتحدث اليه عند الباب .

ـ ٥ ـ

دخل قيصر الى البناء فقام الشيوخ وقوفا . وحين جلس قيصر تقدم أحد المتآمرين وهو توليياس سيمبر يلتمس الصفح عن أخيه المنفي وسرعان مادار حوله الباقون وضيقوا الخناق حتى أمرهم قيصر أن يفسحوا قليلا . ويظهر أنه اشتم رائحة العداء فقام واقفا على قدميه ولكن توليياس سارع

ورفع عباءة قيصر عنه وبقى جسم قيصر عارٍيا الا من ثوب خفيف ٠٠ وهنا أسرع كاسكا (الذى كان قيصر قد رفعه الى مرتبة أعلى منذ زمن قريب) فأغمد خنجره بين الكتفين فصرخ قيصر فى وجهه « أيها المجرم كاسكا . ماذا فعلت ؟ ٠ » - وهنا طعنه شقيق كاسكا فى جنبه ٠٠ أما كاسياس الذى أنقذ قيصر حياته فى فرساليا فقد طعنه فى وجهه٠٠ وأما بوكوليناس فدفن سكينه بين لوحى كتفه ٠ وأما دسيموس بروتس الذى شجعه على القدوم للقاء الشيوخ فطعنه فى الترقوة وأصبح قيصر يكافح من أجل حياته كحيوان برىء يضرب يمنــة ويسرة . وتفيض منه الدماء وهو يحاول أن يخترق النطاق الذى ضرب حوله من الخناجر نحو قاعدة تمثال عدوه القديم بومبى ٠٠ وحين أمسك ذراع كاسكا مرة أخرى رأى حبيبه ماركوس بروتس يتقدم نحوه شاهرا خنجره فصاح «حتى أنت يابروتس٠ ابنى ٠ » ثم خر الى الارض وهنا جثمت فوقه طغمة القتلة يطعنون جثمانه وهو يتخبط فى بركة من الدماء ٠ وحين تيقنوا أن الحياة قد فارقت جسده توجهوا نحو الشيوخ ولكنهم وجدوا الأعضاء يهرولون من المبنى ٠ وكان بروتس قد جهز خطبته يتلوها فلم يجد أحدا يســـمع اليه ٠٠ وتحير المتآمرون ماذا يفعلون فخرجوا يرددون الحرية والجمهورية ٠٠ وكان كل انسان يهرب من طريقهم ٠٠ حتى انطوان ٠٠ خوفا على حياته ٠٠ وأخيرا استقروا فى الكابيتول حتى دعاهم عدد من الشــيوخ الى الفورم حيث خاطب بروتس الجموع فاستمعوا له ٠ ولكن حين بدا « ســـنا » يتحدث فيتهم القتيل٠ طارد الشعب المتآمرين الى الكابيتول حيثقضوا ليلتهم٠٠ وحين دخل الليل أخذ أنطوان طريقه الى الفورم حيث نقل جثمان قيصر٠ وهناك قابل كالبورنيا التى عهدت اليه بكل المستندات والأشياء الثمينة٠

وعقد اجتماع فى اليوم التالى بناء على اقتراحه ٠٠ ووفق على أن تفتح وصية قيصر ومن العجيب أن القتيل أوصى لكل رومانى بثلاثمائة دانق ومنح الممتلكات العـامة أراضيه وحدائقه على شاطىء التيبر الآخر حيث تقيم كليوباترة ٠ ومنح أوكتافيوس ثلاثة أرباع ما بقى من ضياعه وقسم الربع البـاقى بين ابنى أختـه لوكيـاس بيناربوس وكوينتوس بيديوس ٠ وأوصى أوكتافيوس بالوراثة الرسمية وعين أوصياء علىابنه اذا ولد له ابن بعد موته ٠

واستمرت الجثة فى الفورم خمسة أيام وحدد ميعاد الجنـازة فى العشرين من مارس ٠ وذهب أنطوان فى المســاء الى الفورم حيث رأى الجموع تبكى حول الجثة والجنود يحملون دروعهم متلاصقة والنســوة يصرخن ٠٠ وهنا بدأ انطوان ينشد رثاء فى قيصر ويمد يديه بين الوقت

والآخر ثم ينفجر باكيا ... وفى هذه الفترات كان الشعب يردد فقرات المرثية ويتغنى بجملة اكيوس المشهورة « لقد أنقذت من دفعونى الى التهلكة » ثم رفع أنطوان الملابس التى مزقتها الخناجر فوق رمح وبدأ مرثيته الشهيرة فوق جسد الدكتاتور .. وحين ذكر للناس هبة قيصر لهم انفجر الشعب غضبا منددا بالانتقام وتذكر واحد منهم حديث سنا بالامس وسرعان ما طالبوا بدمه وكان هناك شاعر صغير - لسوء حظه - اسمه سنا . فلما ناداه أحد معارفه باسمه ظن الناس أنه المقصود فهجموا عليه وقطعوا مفاصله للتو .. ثم حملوا المقاعد والموائد وأشعلوها ووضعوا فوقها جثمان الدكتاتور . وحين بدأت النيران تخمد أشعلوا منها مشاعلهم ليحرقوا بيوت المتآمرين . واجتمع الشيوخ فى اليوم التـالى ليبعدوا المتآمرين فى بلاد قصية حيث قلدوا وظائف أخرى ..أما شئون العاصمة فتركت بين يدى أنطوان .

- ٦

لم تفقد كليوباترة بموت قيصر أعز أصدقائها وحبيبها الاول فحسب بل فقدت بموته المملكة العظيمة التى كان قد وعدها بها .. فأصبحت بعد موته امرأة فوق عرش مقلقل .

وربما لجأت فى هـذه الحيرة الى انطوان الذى كان يتحكم فى الموقف . وربما استعطفته ليؤازر حقوق ابنها . فانه اذا لم يعترف العالم بشرعية مولد قيصرون فربما ضاع منه عرش مصر كذلك. أما اذا اعترف به كابن لقيصر فربمـا أمكن ازاحة اكتافيوس من الطـريق .. وكان اكتافيوس بعيدا . فاذا لم يصل فان الأمر يصـبح فى يد كليوباترة . وربما فكر انطوان فى أن حضور اكتافيوس قد يحجبه هو الآخر وأن الاعتراف بالطفل قد ينقل كل السلطان اليه .

ويظهر انه حـرض كليوباترة على البقاء فى روما . ثم أعلن فى الشيوخ أن قيصر اعترف بقيصرون ابنا شرعيا . ولـكن أوبياس عارض ذلك . وكان دولابلا قنصلا فى روما ولم تكن علاقته بانطوان حسنة . كما أظهر عداءه لأصدقاء الدكتاتور بمختلف الوسائل . وكان قيصر قبل موته قد أوصى بسورية لدولابلا وبمقدونيا لانطوان . ولكن الشيوخ رأوا أن يعطوا مقدونيا وسورية لبروتس وكاسياس معا ليخلصا روما من قتلة الدكتاتور .. وبدأ الرجلان يجهزان جيوشا ليدخلا البلاد التى كانت

من نصيبها فدفع هذا انطوان ودولابلا الى أن يتحدا ليبحثا عن وسيلة لخلع بروتس وكاسياس .

ووصلت الانباء بقرب عودة اكتافيوس الذى كان فى التاسعةعشرة من عمره . فانقسمت المدينة الى حزبين أحدهما فى صف أكتافيوس والآخر فى صف أنطوان ... وخيف شر حرب أهلية ونصحت كليوباترة أن تغادر روما فعادت الى بلادها بين اليأس والأمل . وكانت ترى زوجها نجما متألقا فى السماء يدعوها لان تبذل جهدها لتتم جهاده وتحقق أطماعه ... ذلك الزوج الذى أصبح الها بين الآلهة والذى صار شابا يضىء السماء سبعة أيام متوالية حتى رأى الناس فيه الدكتاتور القتيل مندفعا نحو السماء . وبدأ كسوف الشمس يزداد باقتراب قيصر المؤله. ورأت الكهنة والموظفين قبل مغادرتها لروما يسمونه الها .. وعلى هذا فهو سوف لا يهجرها وهى شريكته فى الألوهية وسوف لا يدع ابنها وابنه يعيش مغمورا . وسوف يدافع عنها من عليائه ويأتيها على أجنحة الريح يعاونها فى جهادها .

بمثل هذا التفاؤل بدأت تفكر فى المستقبل .

كانت فتاة ساذجة حين عرفها قيصر للمرة الاولى .. أما اليوم فهى امرأة كاملة تشيع فيها جرأة أسرتها ، وهى على أتم الاستعداد لتدفع بآمالها الى قمة الأطماع مادام الى جانبها وليد سوف يجمع بين يديه الصغيرتين عرش العالم أجمع .

- ٧ -

استمرت الغيرة والحقد بين انطوان واكتافيوس عقب مقتل قيصر. فربما كان أنطوان لا يرى فى أكتافيوس ندا يصلح لان يصبح خليفة لقيصر . وربما كانت رغبته فى تحقيق آمال كليوباترة فى الصغير قيصرون سببا لهذا الحقد .. ولكننا نعلم أن حلفا ثلاثيا تم بين اكتافيوس وأنطوان ولبيدوس حكم الثلاثة بمقتضاه روما وايطاليا فيما بينهم . واشترك أنطوان ولبيدوس فى حكم الممتلكات . واقتصر حكم اكتافيوس على افريقية وتوميديا والجزر . واتفقوا على أن يتخلصوا من أعدائهم كما اتفقوا على القضاء على مائة من الشيوخ ومائتين من الاثرياء وذوى النفوذ فقتلوا جميعا قتلة شنيعة بين مناظر الرعب والأسى التى لم يشهدالتاريخ أفظع منها الا فى القليل النادر . وكان شيشرون أحد هذه الفرائس وقد

نكب من أجل عدائه لانطوان الذى كان على رأس الثالوث . ولم ينفع دفاع اكتافيوس عن الخطيب لانقاذه ... وصودرت أملاك القتلى واستخدمت فى تسيير دفة الأمور .

أما بروتس وكاسياس فكانا يجهزان جيشا فى مقدونيا ليحاربا أكتافيوس وأنطوان . وفكر كاسياس فى غزو مصر وكانت كليوباترة التعسة بين شقى الرحى . فهنا بروتس وكاسياس ويداهما مازالتا ملطختين بدماء زوجها الحبيب . وهناك حلف ثلاثى لا تعرف دلالته ولا مداه ولا مطامعه بل رأت أن تنفض يدها من انطوان ما دام قد سمح لنفسه أن يضع يده فى يد غريمها أكتافيوس . أما دولابلا الذى أصبح صديقا لانطوان فقد أرسل اليها يرجوها اعادة الفرق التى كان الدكتاتور قد تركها بالاسكندرية .. وكان كاسياس قد طلب اليها مثل ذلك من قبل .. فلبت طلب دولابلا ولكنه هزم قبل أن يصل اليه الجنود الذين أوصى بارسالهم اليه .

وفى أكتوبر عام ٤٢ ق.م. هزم انطوان بروتس وكاسياس فى معركة فيلبى أما كاسياس فقتل وأما بروتس فانتحر . وأصبح انطوان معبود الجنود واستقر الرأى على أن يرحل للشرق لجمع الاموال للثالوث على أن يبقى اكتافيوس فى روما لتنظيم الامور . وترك أمر الممتلكات الافريقية الى لبيدوس . ومر انطوان بجيوشه الى اليونان ثم آسيا الصغرى وعسكر فى طرطوس فى صيف ٤١ ق.م. وأرسل من هناك ضابطا يدعى دليوس الى الاسكندرية ليستدعى كليوباترة ليناقشها الحساب فى أمر معاونتها بروتس فى حين كانت هى تتهمه بارتباطه مع اكتافيوس مما لا يتفق مع مصلحتها .. ولكن لم يسعها أن تناصبه العداء فقد أصبح أقوى رجل فى العالم .. ولذا جهزت نفسها للرحيل الى طرطوس .

٨ -

كان انطوان طويل القامة قوى البنية متين العضلات . وكان شعره الكثيف يلتف حول رأسه . وكان يتميز بجبهة عريضة وكان فمه وأنفه يوحيان بالقوة كما كانت تعبيرات وجهه مليئة بالصراحة .

وكانت له جاذبية جنسية لا تقاوم .. وكان ينتسب الى عائلة نبيلة . وكان له من الصفات الكريمة ما دفع جنده الى عبادته فكان فصيحا

صريحا عطوفا يواسى المرضى والمحزونين ويزور الجرحى من جنــــده فى خيامهم ٠

وكان ميالا للدعابة ٠٠٠ وكان طفلا كبيرا ٠ واستمر كذلك طيلة حياته وأسرف فى الخمر حتى كان يشرب مع كل رجل ٠٠ وأجاد التمثيل وكان يحاول فى أحاديثه مع الجماهير أن يســـــترعى أنظارهم بحركاته لا بكلامه فحسب بل كان يقيم المسارح فى حملاته ٠٠٠ ولـكنه لم يكن يكترث كثيرا بالرأى العام ٠

وكان كريما نحـــو أصدقائه وأعدائه على السواء وكان مسرفا فى اعطاء المنح والهدايا ٠ ولم يقم للمال وزنا بل كان اسرافه حديث العالم ٠٠ ويقال انه لم يكن هناك ند له فى خطابته للجماهير ٠ ولم يكن ليخجل من علاقاته الغرامية فقد ترك نفسه على سجيتها ولم يتعلق بامرأة واحــــدة أبدا ٠٠ وكان فى طبعه شىء من الوحشية وان كان طيب القلب ســــامى العاطفة ٠ ذلك هو الرجل الذى قدر لـكليوباترة أن تشد رحالها للقائه وأن ترتبط به كما ارتبطت بقيصر من قبل :

الإمبراطورية المصرية

١ —

أبحرت كليوباترة من الاسكندرية ... ومرت بقبرص وشواطئ سورية ثم دخلت الى كيليكيا فى طريقها الى طرسوس .. وطرسوس اذ ذاك مدينة لها شهرة تجارية وبها مدرسة للخطابة تميزت بها . وتقع على ضفاف نهر فى ظلال سفوح مليئة بالأحراج وهى على بضعة أميال الى الداخل . وينفتح النهر أمام المدينة على شكل بحيرة هادئة .

وكان انطوان فى المحكمة العامة بسوق المدينة حين وصلت كليوباترة . وكان يتوقع أن تأتى اليه فورا لتقدم فروض الولاء . ولكن كليوباترة سليلة الآلهة لم ترض أن تلعب دور المولى . بل بقيت فى ركابها كأنما هى لاتتعجل لقاءه وتطايرت الاشاعات عن فخامة ركبها . وقيل ان الاستعدادات قائمة على ظهر سفينتها لاستقباله فأسرعت الجموع المحيطة بالمحكمة من السوق الى أرصفة الميناء . وبقى انطوان وحيدا بين حاشيته . فأرسل اليها رسولا يدعوها للعشاء فردت الرسول برسالة منها تدعوه بدورها مع حاشيته فقبل الدعوة وأصدرت أوامرها على الأثر بأن يقترب السفين من الميناء ... وبدأ الفلك ينزلق على وجه الماء والشمس تميل للغروب . وأشعتها الذهبية تنعكس فوق المجاديف الفضية . وكان النسيم يلعب بالأشرعة . وكان للفلك دفتان يحركهما رجال يقفون فى المؤخرة تحت سقف على شكل رأس فيل من الذهب اللامع يرفع خرطومه الى أعلا ... وحول الرجال عدد من الحوريات فى زى « الجنيات » وبالقرب منهم جماعة من الموسيقيين يلعبون على الاوتار وينفخون فى المزمار ... أما كليوباترة فكانت فى زى فينوس الفضفاض المحلى بالذهب ومن حولها أطفال فى زى كوبيد يقفون الى جانبى وسادتها ممسكين بمراوح من ريش النعام الملون . وأمامها مباخر ترسل عطرا قويا شذيا وصل شذاه الى الشاطئ قبل أن يصل السفين . ولما وصلت الى الرصيف المزدحم صعد انطوان وقواده وعظماء طرسوس الى ظهر المركب وكان لقاء انطوان معها وديا لأن مظهر قدومها كان يمنع كل ما يدعو الى اللوم أو التثريب اذ أن فخامة الموكب وروعة

الاستقبال وسحر الفسق وانغام الموسيقى الهادئة الشجية التى امتزجت بأصوات المجاديف التى تضرب صفحة الماء ورائحة العطور الذكية ... لابد أن هذا كله قتل فى نفسه كل رغبة فى اللوم أو العتاب بل انها لم تدع فرصة للحديث الجدى . فأقبلت عليه تقوده ورفاقه الى صالون العشاء الذى يحيط به اثنا عشر مسندا مثلث الشكل تغطيها الوسائد المطرزة . وأمام كل مقعد مائدة عليها صحون من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة وكئوس دقيقة الصنع من الذهب الخالص . كما كانت الحوائط مغطاة بتطريز من الذهب والأرض مغطاة بالزهور ..

أما انطوان فقد خلبت لبه روعة الاستقبال . وأما كليوباترة فلم يسعها الا أن تعتذر عن أنها لم تف الاستقبال حقه وكانت تهدى اليه بين الوقت والآخر بعض ما يستعمل للمائدة من صحون وأوانى شراب ووسائد ومطرزات .. وحين عاد مع اصحابه الى ظهر السفين وجدوا انفسهم تحت مصابيح قوية تطل من مربعات ودوائر من غابة من الاغصان المتشابكة فوق رءوسهم حيث أمضوا وقتا ممتعا فى صحبة الملكة الفاتنة حتى فرغت أوانى النبيذ أو كادت وخفقت اضواء المصابيح . ثم ظهرت من بعيد أشباح الممثلين فى الاقنعة الالهية كأنما نزلت فينوس الى الارض لتلهو مع ديونيزوس . وكأنما ارادت كليوباترة بذلك أن يعترف بها انطوان ــ كما اعترف قيصر من قبل ــ صورة حية لفينوس . ولم يكن ذلك عجبا فقد كان شائعا أن تتقمص الآلهات اجساد النساء فجوليا ابنة اوكتافيوس كانت صورة حية لفينوس جنتريكس فى بعض المدائن .

ودعا أنطوان كليوباترة أن تكون ضيفته فى الليلة التالية ولكنها اصرت أن يشرفها بزيارته مع حاشيته مرة أخرى ... وازرت الوليمة اللاحقة بالوليمة السابقة وحين انصرف الضيوف لم يأخذوا معهم وسائدهم التى كانوا يقتعدونها فحسب . بل اخذوا معهم كذلك هوادج يحملها عبيد وفتيان اثيوبيون ينيرون لهم الطريق بالمشاعل . اما الطبقة الثانية من الضيوف فقد أخذوا معهم جيادا لها سروج من الذهب ذكرى لهذه الليلة .

ولبت كليوباترة دعوة انطوان فى الليلة الثالثة .. وامتص انطوان موارد طرسوس ليقدم لها مأدبة كمأدبتيها .. ولكنه فشل واعترف بفشله . وكانت مائدة كليوباترة تمتاز بحديث يدار ملؤه الحكمة والذكاء ... كما كان يسودها جو من الفطنة والدهاء .. أما مائدة انطوان فان

امتازت بشيء من هذه الناحية فبلغو الحديث وفجه • واضطرت كليوباترة أن تجارى القوم حتى تكسب الى صفها الجندى فيصبح حليفها •

وكان فى كليوباترة شيء لا يقاوم ، وكان فى أخلاقها نوع من الحيوية وفى شخصيتها لون من التسلط الذى يستره الضعف — أن جاز لنا أن نقول ذلك — وكان فى صوتها سحر أخاذ . وكان أنطوان يريد من دعوتها اليه أن يلومها على اهمالها مصالحه ولكن تأثيرها ظهر فى انحرافه عن جادة الصواب اذ اهمل قضية قيصر الاولى فى سبيل معاونته لأوكتافيوس • وهكذا سقط فريسة سهلة لجاذبيتها وأظهر استعدادا تاما لانقاذ رغبتها •

وفى الليلة الرابعة دعت ضباط الرومان الى وليمة أخرى وأمرت بأرض الصالون أن تغطى بالورود الى عمق قدمين وأن تمسك بشباك تربط الى الحوائط حتى يسير ضيوفها على وسائد من الزهور وقد تكلفت الغرفة الواحدة ما يساوى مائتين وخمسين جنيها •

ومضت الليالى التالية على هذا النحو وكأنما كانت كليوباترة تصر على أن تظهر بذخها وثراءها حتى تكسب حليفا فى صراعها ضد أوكتافيوس وقد نجحت فى هذا المضمار آيما نجاح فاعترف انطوان أن الولائم تمتص موارده فى حين ذكرت هى أنها ان أولمت وليمة تتكلف ما يعادل ١٥٠,٠٠٠ جنيه فان ذلك لا يؤثر عليها . فأنكر عليها انطوان ذلك فتحدته أن تفعل ذلك فى الليلة التالية وقبل الرهان • ورأى فى الليلة التالية أن المائدة لا تزيد على موائد الليالى السابقة . وقاموا بتعداد النفقات فى آخر الوليمة بما فى ذلك ثمن الأطباق والقوارير من الذهب الخالص وظهر آن المبلغ لا يصل الى الرقم الذى ذكرته ... فأشارت الى أتباعها الذين أحضروا مائدة عليها كوب به بعض الخل • فخلعت من احدى أذنيها لؤلؤة تساوى قيمتها أكثر من نصف المبلغ الذى تراهنت عليه معه وألقت بها فى الخل ثم تناولت الكوب وبه الخل واللؤلؤة المذابة وقيمته أكثر من ٧٥,٠٠٠ جنيه استعدت لتناول اللؤلؤة الأخرى لولا أن بلانكوس تدخل وقرر أن الرهان كسبته الملكة •

ولابد أن كليوباترة كانت ترمى من وراء ذلك كله الى غرض واحد هو أن توحى اليه بأن ثراءها لا حد له وأن ثروتها ستصبح تحت قدميه ان هو عاون ابن قيصر .. فلم تكن الأكواب والصحون الذهبية • ولم تكن اللآلىء المذابة • ولم تكن الموائد المسرفة ... لم يكن هذا كله

بالثمن الفادح لتحقيق هذه الفكرة . فاذا اختمرت الفكرة فى ذهنه وضعت ثروة البلاد بين يديه ومكنته من ذهب نوبيا وأثيوبيا وأرته طريق الهند . وأوقفته على مادفع قيصر الى الانضمام اليها . وهكذا تحققت أطماع قيصر الذى منعه الموت من تحقيقها .

وكان هنـاك أمران ، استغلت فرصة لقائها بأنطوان لتبلغ رأيها فيهما .. أما الأول فهو الاميرة أرسينوى التى سارت فى موكب نصر قيصر فان سراحها أطلق . وكانت تعيش فى أفسس فى معبد أرتميس وكانت صاحبة عرش قبرص مع أخيها . وكان كاهن المعبد يمجدها كملكة وربما عاونت بروتس وكاسياس حتى يردا اليها الجميل بوضعها على عرش مصر . وربما كان والى قبرص المدعو سرابيوان عونا لها فى هذه المؤامرة حين سلم اسطوله الى كاسياس ... فاخذت كليوباترة موافقـة أنطوان على اعدام أرسينوى وسرابيوان وأنقـذت من رجالهـا وأعوانها من قتلوا أرسينويه على باب الهيكل كما ذبحوا سرابيوان .. أما الكاهن فقد نجا بأعجوبة ..

أما الأمر الآخر الذى كان يقلقها فهو ظهور رجل يقال انه أخوها وزوجها بطليموس الرابع عشر الذى قيل من قبل انه مات غـرقا فى الدلتا فى معركة عام ٤٧ ق.م اذ وصلتها الانباء انه على اتصال بأرسينويه وأنه يعيش فى فينيقيا فوافق أنطوان على القبض عليه وقتل بعد بضعة اسابيع ..

ولم تمتد زيارة كليوباترة لطرسوس أكثر من أسابيع قليلة وحين عادت للاسكندرية أحست بأثر هذه الرحلة التى رفعت من آمالهـــا . فهى لم تبعث الرعب فى قلب كاهن أرتميس فحسب بل كسبت الى جانب ذلك عون أنطوان وانتزعت منه وعدا بزيارتها فى الاسكندرية ليرى بعينيه ثروة مصر التى تزمع أن تضعها تحت تصرفه .

٢ -

أصبحت أغراض أنطوان تتجمع فى أمور ثلاثة : أولها تكوين حلف دفاعى هجومى مع كليوباترة حتى تصبح أموالها وسـفنها ورجالها تحت امرته . وثانيا غزو بارثيا حتى يرفعه مجد الانتصارات والاسـلاب الى القمة . وثالثها معركة مع أوكتافيوس تنتهى بازاحته من طريقه فيصبح سيد العالم .

وتنفيذا لهـذه الخطة سار بسـفنه الى مصر فى خريف عام ٤١ ق.م . ليتم تحالفه مع ملكة مصر . وترك دسيديوس ساكسا على رأس القوات فى سوريه لينبئه بحركات البارثيين الذين كانوا يجمعون قواتهم. ولكن جاءته الانباء بأن أخاه لوكياس انطونيوس وزوجه فولفيا يجهزان لمعركة مع أكتافيوس ورأى أن قوته لا تسمح له الآن بالنزال كما رأى أن يوهم الجميع أنه منغمس فى المسألة الشرقية . فعدل عن الذهاب الى روما وفضل أن يذهب الى مصر حتى تتيسر له تعبئة الجنود وجمع الأموال توطئة لحرب البارثيين اذا استدعى الأمر ذلك .

ولم يكن أنطوان رجلا دبلوماسيا . بل كان يعمل بما كانت توحيه اليه نزواته . وقد عرفت فيه ملـكة مصر ذلك فرأت اسـتغلال هـذه الصفة . وسرعان ما طرح الامور الرومانية وراء ظهره وأحيا أطماع الملكة الفاتنة التى رأت فيه منفذا لرغباتها ومنفذا لأطماعها .. أما هو فرأى نفسه فى الاسكندرية محوطا بلون آخر من الناس ومدفوعا الى لون جديد من المتعة ومنغمسا فى حياة لم يتذوق مثل ثمارها الشهية من قبل . لأن الاسكندرية كانت اذ ذاك تحفـل برجال الادب والعلم والثقافة .. وأثرت عليه البيئة الجديدة فخلع الزى الرومانى وارتدى الملابس اليونانية.. ولما كان يتقن اللغةاليونانية فقد جمع حوله حاشية من نبلاء اليونان وكان يقضى أوقاتا طويلة فى المعـابد والمتحف وهكذا اكتسب مركزا ممتازا فى البلاط السكندرى . وكان أنطوان يقدر أن كليوباترة تريد لأسباب سياسية أن يصبح زوجا شرعيا لها حتى تتحقق آمالها . كما كان من السهل على أى رجل أن يدرك أن امرأة صغيرة لم يعمر زواجها الاول طويلا فى أشد الحاجة الى زوج تستكين الى حنانه فى ساعات وحدتها وتلجأ اليه فى محنتها .. وكانت كليوباترة برغم تظاهرها بالشجاعة والقوة امرأة صغيرة عاطفية فحاول كسب صداقتها ثم ثقتها . وسرعان ما استسلمت بكل غرائزهـا وعواطفهـا وطبيعتها المواتية ..

واعترف البلاط بهذا الرباط الجديد. وثبته الكهنة وسرى نبؤه فى مصر كلها كما حدث فى أيام قيصر. ويذكر السكندريون أنهما كانا يخرجان فى بعض الامسيات متخفيين فى زى جارية وعبد يطرقان الابواب ويختفيان كالاشباح . ولم يكن هذا غريبا على طبيعة أنطوان التى تميل الى المرح . ولا غريبا على امرأة شابة تميل الى الدعابة كان زواجها الاول من رجل أقرب الى الجد منه الى المرح . وكانت تقضى معه أوقاتا طويلة فى

الصيد والقنص خارج الاسوار . وكانت تلعب معه وتأكل وتشرب وتلهو وتقضى ساعات طويلة الى جانبه ينهلان من موارد الحب التى لا تنفد . ويذكر السكندريون أنهما خرجا يوما ليصيدا السمك وانقضى النهار ولم يصد انطوان شيئا فأوعز الى أحد عبيده فغطس فى الماء ووضع سمكة فى شص أنطوان كانت قد صيدت من قبل . وأدركت كليوباترة هذه الدعاية فأوعزت الى أحد خدمها فى اليوم التالى فوضع سمكة مملحة فى شص أنطوان بمجرد أن ادلاه فى الماء فلما أخرجه ضحكت منه وقالت : « مالك يامولاى ولهذا .. دع هذا اللون من الصيد لحكام فاروس وكانوب واصطد أنت المدن والممالك والقلاع » .

وأنشأ فى ذلك الشتاء ناديا يدعو كل عضو من أعضائه زملاءه الآخرين لمأدبة مسرفة . وكان أنطوان يرأس ذلك النادى وكانت موائده سخية بقائمة طعامها . ولكن موائد مصر كانت تزرى بها .

وهكذا مر الشتاء الطويل بين قصف ولهو .. وتوطدت الصلة بين أنطوان وكليوباترة فأمن بذلك جانب مصر وكسب عونها .. وكانت كليوباترة ترى فيه زوجا شرعيا لها . وكان مركزها يحميها من اللوم ومن الخضوع للقوانين الوضعية . فهى قبل كل شىء ملكة الهة ارتضت ذلك الرجل زوجها يحمى مصالح وطنها وأسرتها ويرضى كبرياءها كأنثى .

وفى أوائل عام ٤٠ ق.م أحست بثمرة هذه العلاقة فتشبثت به وان حاول من جانبه أن يتملص مما قد يجره ذلك الحادث من نتائج لا يدرى مداها .. والواقع أن بقاء أنطوان فى ذلك الشتاء أفاده كثيرا فجعله بعيدا عن متاعب السياسة فى ايطاليا وأكسبه ثقة مصر وثروتها اذا اراد أن يفيد منها . ومهد الطريق لزواجه من ملكة مصر اذا شاء ذلك لنفسه واذا شاء أن يقيم ملكية كان قيصر يكاد يذوب وجدا لتحقيقها .

أما كليوباترة فلم تنل سوى وعود مبهمة وأصبحت قلقة على مصيرها اذا تخلى عنها أنطوان . ولابد أنها فكرت كثيرا فى أواخر الشتاء هل تثق فى أنطوان الذى منحته الشىء الكثير ... الذى أحبته وأسلمت نفسها اليه . ثم أحست أنه لا يمكن الاعتماد عليه فهو ليس سوى طفل كبير لا يقوى على ملء الفراغ الذى تركه قيصر .

ولنا أن نتخيل شعورها فى فبراير عام ٤٠ ق.م حين أنبأها بأن عليه أن يرحل حالا لما وصله من انباء سيئة من روما وسورية .. أما

أخبار روما فقد فهم منها أن آخاه وزوجته اعتركا مع أوكتافيوس وهربا من ايطاليا . أما أنباء سورية فقد جاءه أن بعض الأمراء السوريين الذين كان قد أخضعهم قد اتحدوا مع البارثيين وساروا من الشمال الشرقى نحو ساكسا محافظة سورية . وكانت الحامية هناك ضعيفة فقد كانت خبرة جنود أنطوان فى ايطاليا وبلاد الغال ومقدونيا . ولذا نراه مضطرا لأن يقطع زيارته من الاسكندرية . ولم يسألها عونا حربيا بل ترك وراءه طفلا لا أب له وامرأة تدعم عرشا بلا رجل .. وحيدة بغير رفيق .. ولم تكن تقدر ساعة الفراق أن أربعة أعوام طوال سوف تمر قبل أن تراه مرة أخرى .

٣ -

فى شتاء عام ٤٠ ق.م بعد أن رحل انطوان بستة شهور ولدت كليوباترة توأمين ذكرا وانثى هما الكسندر هليوس وكليوباترة سيلنى أى الشمس والقمر . وعكفت على العناية بهما وظلت ثلاثة أعوام طوال لا تسمع نبأ عن أبيهما بل كانت تتسقط أخباره .

اما انطوان فقد رحل الى صور وهناك علم أن سورية وفينيقيا سقطتا فى أيدى البارثيين كما علم أن ايطاليا لم تعد مغلقة الأبواب فى وجهه فحسب بل أن أوكتافيوس أصبح سيدها الوحيد .

ووصل الى أثينا فى نهاية يونية وقابل زوجه فولفيا . وبدأ يتعاتبان فلامها على سوء تصرفها فى روما ولامته من أجل علاقته بكليوباترة ... واضطرت الى الاعتكاف على بعد ستين ميلا من أثينا . وهناك مرضت وماتت فى اغسطس .

وانتهز أنطوان فرصة موتها فألقى على أكتافها عبء ما حدث فى ايطاليا وعقد صلحا مع اكتافيوس كان مؤداه أن يكون لأوكتافيوس مطلق التصرف فى روما والممتلكات الاوربية فى حين يحكم أنطوان الشرق بما فيه مقدونيا واليونان وبثينيا وآسيا وسورية وبرقة . أما باقى الأملاك فى شمالى أفريقية فيما وراء برقة فكانت من نصيب ثالث الثلاثة لبيدوس . ومهرت هذه المعاهدة بزواج أنطوان من أوكتافيا أخت أوكتافيوس وهى ارملة صغيرة جميلة كان زوجها قد مات منذ زمن قصير . واحتفل بالزواج فى أكتوبر عام ٤٠ ق.م .

ولابد أن هذه الأنباء جميعها آلمت كليوباترة كثيرا ... فان عمر التوأمين لم يتجاوز آسابيع قليلة . وقد لامت نفسها كثيرا اذ القت بآمالها وأحلامها بين يدى رجل لا يوثق به متقلب العاطفة .. ولابد أن الامل لديها فى انتصار قضية قيصرون .. أما أوكتافيا الجميلة فقد كانت تعرفها كليوباترة مما زاد فى تعذيبها .. فهى قد اكتوت بنـــار الخيانة ونار الغيرة معا .

ورزق أنطوان فى سبتمبر عام ٣٩ق.م من أوكتافيا بابنة سماها انطونيا (وهى التى أصبحت فيما بعد جدة نيرون الطاغية) . وعاش بعد ذلك فى أثينا عيش الاثينيين كما كان يحيـــا فى الاسكندرية حياة السكندريين . واتبع نظام الحكم اليونانى فألغى المحافظات الرومانية فى كثير من الولايات وحولها الى ملكيات صغيرة . فجعل من هيرودس ملكا على اليهودية . ومن داريوس بن فارناكس ملكا على بونتاس . ورفع امنتاس على عرش بيسيديا . ومنح بوليمو تاج ليكادونيا . وشارك أهل أثينا فى طقوسهم الدينية وفى الزواج . وكان الشعب يحبه فى الوقت الذى كان يمقت فيه أوكتافيوس الذى ينحدر من بيئة وضيعة . فقد كان جده مقرض نقود من العامة . وانتفع أبوه بهذه الثروة التى رفعته الى المجتمع الرومانى الراقى فتزوج من عائلة قيصر . وكان أوكتافيوس سيىء الخلق قاسيا له بطانة دنيئة مغامرة مثله . وكانت ايطاليا فى أثناء حكمه ترزح تحت حكم ملؤه الرعب . وكان الرومانيون يكرهون طلعته وكان قصير القامة وبوجهه ندوب وجلده مغطى بالبقع وأسنانه تالفة وكان قذرا لا يعنى بهندامه يكره ضوء الشمس ويخاف البرد . وكانت زوجه وأخته تخيطان ملابسه . واذا قارناه بأنطوان نرى أنطوان رجلا شعبيا أخذت أسهمه فى الارتفاع . وحاول أوكتافيوس فى ربيع ٣٨ ق.م أن يثير حربا ضد سكتس بومبياس وطلب الى أنطوان الانضمام اليه . وحاول أنطوان تهدئته فلم يفلح . وقد سر الشعب كثيرا حين هزمه سكتس فى يوليه التالى . كما أن أنطوان قد هزم البارثيين قبل ذلك بشهر من الزمان تحت قيادة أحد قواده . فأثارت هذه الانباء جميعا حماسة روما .

وانتهى أمر الثالوث عام ٣٧ ق.م فجدد خمس سنوات آخرى . وتعهد أنطوان أن يمد أوكتافيوس بمائة وثلاثين سفينة فى حربه ضد سكتس على أن يعـاونه أوكتافيوس ب ٢١٠٠٠ جندى فى حربه ضـــد البارثيين .. أما الثمن الذى دفعه أنطوان لشراء الجنود فقد كان ثمنا

كبيرا حقا .. فلقد اشتراهم أنطوان بتضحية ذلك الرجل الذى كان صديقا لأمه والذى عاونه ضد أوكتافيوس حين لم تكن المقادير تجرى بما يشاء .

وفى طريقه الى كورثو فكر أنطوان فى الانفصال عن روما . على أن يعود اليها كفاتح للأرض فأرسل زوجه أكتافيا فى ايطاليا . وأرسل فونتياس كابيتو الى الاسكندرية ليدعو كليوباترة الى مقابلته فى سورية .

وكانت أوكتافيا سيدة حلوة محبة للوئام .. ولو كانت أقوى شكيمة لتغير وجه التاريخ فى هذه الحقبة من الزمن .

وفكرت كليوباترة كثيرا فى علاقتها بهذا الرجل وانتهت الى أن وجوده الى جانبها ضرورى من أجل نصرة قضيتها .

٤ -

اقلعت كليوباترة الى سورية وقابلت أنطوان بعد أسابيع قليلة عند نهاية عام ٣٧ ق.م فى مدينة أنطاكية . واستعملت فى هذا اللقاء كل ما تملك المرأة من سلاح فاستغلت ضعفها الجنسى وسيلة لاذلاله وحاول أن يدخل الهدوء الى نفسها والسكينة الى قلبها بعد أن عرف آلامها وشجونها وقلقها .

واتفق معها على أن يعمل الترتيبات ليتم بينهما زواج شرعى طبقا للتقاليد المصرية على ألا يعلن نبأه الى شيوخ روما . ورأى أن يطلق على نفسه لقب أوتوقراط أى « حاكم مطلق » للشرق قاطبة . وهذه الكلمة اليونانية ترادف كلمة « امبراطور » الرومانية . وقد فضلها أنطوان لان كلمة « ملك » كريهة على أسماع الرومان . ووافق أنطوان على أن يعتبر قيصرون الوريث الشرعى للعرش وعلى أن يمنح أبناؤه من كليوباترة ممالك أخرى داخل امبراطوريته . ومنح كليوباترة ملك سينا وبلاد العرب بما فيها بترا وجزءا من وادى جوردان ومدينة جريكو وجزءا من السامرية والجليل ثم الشاطىء الفينيقى ماعدا صور وصيدا ثم لبنان وربما شاطىء سورية الشمالى وجزءا من كيليكيا ربما كان يضم طرسوس وجزيرة قبرص وجزءا من كريت .. وهكذا دخلت مملكة يهوذا فى حدود أملاك كليوباترة .. أما كليوباترة فقد تعهدت بأن تضع كل مواردها تحت تصرف أنطوان .

ولابد وأن الزواج تم عقب هذه الاتفـاقية .,. فصـــكت النقود التى ظهرت عليها رأساهما معا ٠ وبدأ تاريخ جديد لحكم كليوباترة ٠ وانقضى الشتاء فى أنطاكية والاستعدادات قائمة على قدم وساق لتجهيز حملة البارثيين الجديدة . وكانت انطاكية عاصمة لسورية وتعتبر ثالثة مدن العالم اذ ذاك ولها شهرة فى العلوم والفنون ٠

وبدأت الحرب فى مارس عام ٣٦ ق٠م وصاحبت كليوباترة أنطوان حتى زيوجما وهى مدينة على نهر الفرات قرب الحدود الأرمينية على مسيرة ١٥٠ ميلا من أنطاكية ٠ وكانت تود لو تتابع المسير معه لولا أن الأمور دعت الى عودتها الى مصر ٠

ومرت فى طريقها بهيرودس علها تصـل الى اتفاقية معه بشـأن اليهودية . واتفقت على آن يستأجرها منها لقاء مبلغ من المال .. وعرض عليها أن تتابع سفرتها الى مصر من طريق أورشـــليم وغزة أى داخل بلاده حيث فكر أن يقتلها . وبدأ يفاوض أصحابه مبينا لهم خطورة بقائها على قيد الحياة وأن حزن أنطوان عليها سوف لا يطول بل سيفرح من أجل التخلص منها .. وقد نصحه أصدقاؤه الا يفعل ذلك فاضطر الى العدول عن رأيه وأوصلها الى حدود بلاده التى غادرتها الى الاسكندرية لتضع طفلها الرابع المسمى بطليموس ٠

ثم وصلتها الأنباء باندحار أنطوان وعودة جيشه مهزوما محطما ممزق الأوصال يغلب عليه الجوع والعرى والمرض ٠ وأرسل اليها يطلب عونها ليقيم أود جنده وذكر لها انه يتوقع حضورها الى الشـــاطىء السورى بين صيدا وبيروت فجمعت الاموال والملابس والذخيرة وأسرعت اليه . وقابلته وهو خجل من نفسه يعب الخمر ليل نهار ليغطى خزيه ، ورجاله لاتكاد تستر عوراتهم .

٥ -

لم تكن كليوباترة الى جانب فكرة الحرب ضد بارثيا ٠ فحاولت أن تثنى أنطوان عن محاولة معـاودة الهجوم على تلك الجهـــات وأن تغريه بالعودة معها الى الاسكندرية حتى يتفرغ للحرب ضد أوكتافيوس الذى علم أنطوان بانتصاره على سكتس بومبياس الذى هرب الى متيلين . كما سمع أن ثالث الثالوث . (لبيدوس) اعتكف تاركا افريقية لاوكتافيوس

وعلى هذا كان خصمه يحكم الغـرب كله ويتحفز للانقضـــاض عليه اذا ما سنحت له الفرصة ٠

ولبى أنطوان دعوة كليوباترة وقضى الشتاء فى الاسكندرية وكتب الى روما يذكر أن الحملة نجحت من كل الوجوه ٠٠

وفى أوائل ٣٥ ق.م حاول سكتس بومبياس أن يفاوض البلاط المصرى فلم ينجح فولى وجهه شطر البارثيين . وعلم أنطوان أنه حاول أن يرشو وكيله فى آسيا دوميتوس اهينوباريوس فأمر بالقبض على ابن بومبى . وقد حمل تيتوس الامر وقتل سكتس فى ميلتوس . ولما وصلت الانباء الى روما أحدثت استياء شديدا . فقد كان سكتس بطلا شعبيا.

ولكن مجرى الحوادث سرعان ماتغير لوصول ملك بونتاس الى الاسكندرية ٠ وهو الذى كان قد قبض عليه البارثيون فى حملة أنطوان الاخيرة واعتقله ملك ميديا ٠ وقد أرسله الاخير الى مصر ليحمل النبأ بأن مملكتى ميديا وبارثيا قد دخلتا فى حرب جديدة . وآن ملك ميديا يعرض على أنطوان أن يساعده ضد منافسه . وأثارت هذه الانباء الشىء الكثير من القلق فى قصر كليوباترة ٠ فهذه فرصة سانحة لهزيمة البارثيين بأرخص الاثمان لان ميديا كانت دائما الحليف القوى . ولكن كليوباترة كانت تخشى أثر ذلك كله كلما تذكرت أن نفوذ أوكتافيوس يزداد . وأن الكفاح يجب أن يوجه اليه لا الى غيره فألحت على أنطوان ألا يقــوم بهذه الحملة الجديدة ٠ وأرسل أنطوان رسولا الى آرتفاسد ملك أرمينيا يطلب اليه الحضور الى الاسكندرية دون ابطاء ليبحث الموقف معه ولكن أرتفاسد الذى كان قد هجر أنطوان بعـد هزيمته فى ميديا لم يشأ أن يضع نفسه فى يد مولاه الذى خانه ففضل ان يبحث عن مهرب أمين أو يلقى بنفسه فى أحضان البارثيين .

ولم يستمع أنطوان الى نصــح كليوباترة وبدأ يتجهز للحملة فلما رأت ذلك فكرت أن تصحبه ورحلا فى أواخر الربيع الى سورية ٠ ولما وصل الى هناك جاءته الانباء أن زوجه أوكتافيا فى طريقها للحاق به وضربت له موعدا فى اليونان . ويظهر أن أخاها أوكتافيوس كان وراء ذلك كله . فلو أسىء استقبال شقيقته لكان ذلك ايذانا بعراك بينه وبين أنطوان . وأرسل أنطوان الى زوجه يسألها البقاء فى أثينا وأخبرها أنه فى طريقه الى ميديا . فأرسلت أوكتافيا صديقا للعائلة يدعى نايجر تسأل زوجها ما تفعله بصدد الجيوش والمؤن ولكن نايجر لم يعد باجابة شافية .

ورأت كليوباترة فى هذه المعركة ايذانا بالمعركة . وفكرت فى أن تعود بأنطوان الى مصر ليصبح بعيدا عن تأثير أوكتافيا ٠ ولتتفرغ معه للاستعداد لمعركة أهم من معركة بارثيا . ولكن أنطوان كان أميل للانتقام من خصمه القديم منه لاستعجال الحرب مع صهره .. وكانت الظروف حوله تعاونه فهو لم يحصل على سند ملك ميديا فحسب بل أن ملك أرمينيا رأى أخيرا أن يهادنه فقدم ابنتـه زوجة لاسكندر هليوس ابن أنطوان الصغير ٠٠ ويحدثنا بلوتارك أن كليوباترة استماتت فى هـذه الفترة لاعادة أنطوان الى الاسكندرية « فادعت أنها تكاد تموت وجدا وحبا .. » كما نقص وزنها وشحب لونها .. وحين كان يدخل أنطوان الى غرفتها كانت تثبت عينيها عليه ولها وعبادة .. فاذا ماغادر مكانه كادت روحها تخرج فى اثره . وكانت تحـاول أن يراهـا باكية فاذا مانجحت فى خطتها سارعت الى تجفيف عينيها كأنما كانت تود لو لم ير شيئا .. ولم يأل رسلها جهدا فى اظهار رغباتها . فأكثروا من لوم أنطوان على تركه امرأة تهلك وهو كل مالها فى الحياة ٠٠ فأوكتافيا زوجته فى الواقع ولكن كليوباترة ملكة وسيدة أمم كثيرة قنعت بأن تكون عشيقة ٠ فان هو هجرها فانها لا تقوى على الحياة ٠٠

بهذه الوسائل أمكنها أن تجعله يعدل عن التفكير فى الحرب المزمعة ٠ ولما لم يكن حبه لها يقل عن حبها له فقد عاد الى الاسكندرية حيث قضى شتاء ٣٥ ــ ٣٤ ق.م ولكنه عاد فى الربيع الى سـورية وأرسـل الى أرتفاسد ليتشاور معه فى أمور بارثيا . ويظهر أن الملك الارمنى كان يتآمر ضد أنطوان خلال الشتاء فأسرع أنطوان نحو أرمينيا وأسر الملك واجتاح بلاده وحولها الى اقطاعية رومانية وكسب كسبا ماديا كبيرا من وراء هذه المغامرة .

ولما عاد الى سورية بدأ يفاوض ملك ميديا وكان من آثر المفاوضة أن تزوجت الاميرة الميدية يوتابا من اسكندر هليوس الصغير الذى كانت خطبته لابنة ملك أرمينيا قد فسـخت بعـد الغزو السابق ٠٠ ويظهر ان ملك ميديا لم يكن له وريث فوافق على هذا الزواج حتى تشـترك ابنته فى الملك .. ويظهر أن أنطوان بدأ يفكر جديا فى انشاء ممالك يحكمها نسله عن طريق أسرات ملكية من لحمه ودمه فى بلاد كثيرة ..... ثم عاد أنطوان الى الاسكندرية وأصبح تفكيره ينحصر فى الحرب الاهلية المزمع وقوعها . اذ أن أوكتافيا لم تخف مالاقته من سوء معاملته فطلب اليها أخوها أن تترك منزل زوجها . ولكنها لم توافق على ذلك ولم ترض أن يشهر أخوها حربا على زوجها بسببها ٠

- ٦

عاد انطوان الى الاسكندرية فى شتاء ٣٤ ق.م ورأى أن يحتفل بانتصاره على آرمينيا فى العاصمة المصرية . ولم يحدث من قبل أن احتفل قائد رومانى بمثل ذلك خارج روما . وكان من آثر ذلك أن ظهر عمل انطوان كأنما هو يجعل من الاسكندرية منافسا لروما .

وسار على رأس الاحتفال فيلق من المحاربين القدماء يحملون دروعا عليها حرف (ك = C) قيل انه يرمز لاسم كليوباترة كما قيل انه يرمز لاسم قيصر (ك = C) فى كلمتى كليوباترة وقيصر Cleopatra . Casar وركب أنطوان عجلة تجرها أربعة جياد بيضاء وسار أمامها أرتفاسد مقيدا بالسلاسل الذهبية مع زوجه وأولاده . وسار خلف المركبة موكب طويل من أسرى الارمن تليه غنائم الحرب ثم عدد من الاتباع من المستعمرات يحملون تاجا تخليدا لذكرى الغزو . ويلى هؤلاء جميعا فرق رومانية وأخرى مصرية وشرقية .

وخرج الموكب عند الشروق من القصر الملكى حتى معبد نبتيون ثم الى الفورم ومنه مر بالمبانى الجميلة ذات الحدائق الى شارع كانوب حتى تلك المنطقة التى يناطح فيها كوم بانيوم السماء الزرقاء . ثم انحرف الموكب غربا فى الشارع المرصوف الذى أقيمت الاعمدة على جانبيه والذى كانت تقع الى يمينه حوائط السيما (الاضرحة الملكية) . حيث ترقد رفات الاسكندر . ثم انعطف جنوبا الى شارع سرابيس الذى يربض فى نهايته مبنى السيرابيوم الفخم حيث كانت تنتظر كليوباترة وحاشيتها وكبار الموظفين بالاسكندرية وحيث تكأكأ كهنة وكاهنات سرابيس على جانبى الشارع وعلى البرج العريض الذى يؤدى الى بهو المعبد . وهناك ترجل أنطوان بين هتاف النظارة وصعد الى المعبد ليضحى لسرابيس كما كان يضحى فى روما لجوبيتر . ولما تم له ذلك عاد الى الحرس أمام المعبد المقدس حيث أقيم رصيف مرتفع صفحت جوانبه بالفضة وقام فوقه عرش من الذهب جلست عليه كليوباترة فى زى ايزيس أو فينوس . وقدم اليها أنطوان تحت قدميها العائلة الارمينية الاسيرة معفرة من مشاق الطريق ذليلة من زراية المتفرجين .. ولم يكن ارتفاسد متبربرا بل كان رقيق الحاشية مثقفا بل شاعرا .. ولابد أن يكون هذا اللون من المعاملة أكثر مما يطيق .. وطلب اليه أن يظهر ولاءه لكليوباترة وأن يسجد أمامها كالهة فرفض أن يطيع وحاول الحراس أن يستعملوا

معه العنف ليرضخ فأبى بل وقف أمامها وناداها باسمها المجرد .. وكان النظام المتبع فى روما أن يقتل الاسرى عقب موكب النصر .. وهذا الملك جرؤ أن يهين الملكة فالموت عقاب يسير له ٠٠ ولكن مظهره المهيب جعل كليوباترة وأنطوان يتوقفان عن انفاذ الموت فيه بل عاملاه بشيء من الرحمة فسجن فى العاصمة ٠٠

وبعد انتهاء الموكب أقيمت وليمة شائقة لكل سكان الاسكندرية . كما أقيم احتفال آخر بعد الظهر فى الملعب ونصب فيه مرة أخرى رصيف مصفح بالفضة عليه عرشان من الذهب كبيران وأربعة عروش كبار جلس عليها أنطوان وكليوباترة وأولادها ٠ وخاطب أنطوان الجماهير فأشار الى انتصاراته ثم خلع على الملكة وأعقابها ألقاب الشرف فسماها ملكة مصر والمقاطعات التى خلعها عليها فى انطاكية منذ ثلاث سنوات ومنح قيصرون لقب ملك الملوك (وكان عمره ١٣½ سنة) كما منح اسكندر هليوس لقب ملك أرمينيا وميديا وبارثيا (التى كان والده يوتابا قد وعد بالمعاونة على غزوها) ٠ وكان عمره ست سنوات وكان يرتدى الزى الارمنى ٠ أما كليوباترة.سيلين توأم اسكندر هليوس فقد منحت ملك برقة وليبيا وبسائر ما كان فى طوق أنطوان أن يمنحه من الشاطىء الافريقى الشمالى ٠ أما بطليموس الصغير فأصبح ملكا على فينيقيا وشمالى سورية وكيكيكيا وكان يبلغ من العمر سنتين وكان يرتدى الزى الفينيقى ٠

وبعد انتهاء الاحتفال حيا الاطفال والديهم وعادوا محوطين بحاشية من النبلاء من البلاد التى منحوا ملكها ٠ وصكت بهذه المناسبة النقود التى كتب عليها « كليوباترة الملكة والملوك أطفال الملوك » ٠ ثم كتب أنطوان الى شيوخ روما ينبئهم بذلك كله مشفوعا بتقرير عن حروبه الارمينية . وقابلت روما الانباء بكثير من الدهشة والاستنكار . ورأى رسله الا يقرءوا التفصيلات ولكن أوكتافيوس أصر على سماعها فاضطروا ازاء اصراره الى اعلانها ٠٠ وبدأت الانباء تسرى فى كل مكان أن أنطوان نصب من نفسه سلطانا شرقيا يحيا فى الاسكندرية حياة التبذل والمجون واذيع عنه انه دائم الادمان على الشراب لايفيق من سكره بعكس كليوباترة التى لا يسكرها الشراب بتأثير خاتم سحرى من الامنتوس له خاصية طرد أثر الخمر من رأس حاملة .

٧ -

من المحتمل أن أنطوان كان يخشى أن يشهر الحرب ضد أوكتافيوس فقد أحس أن مكانته في روما لم تعد كما كان يتوقع لها أن تكون وحاول أن يقضي على قلقه المتزايد بالادمان على الشراب فأفقده ذلك احترام كليوباترة التي رأت آمالها في رجلها تنهار وأصبحت تستشعر قدرته كقائد كفء لمنازلة أوكتافيوس في عراك يتوقف عليه مصير عرشها المقلق.

اما قصر الاسكندرية فقد جعله أنطوان ملائما لحياة سلاطين الشرق فعلا . فوضع الذهب في السقوف وجعل الاعمدة من الرخام المزين بالبورفير القرمزي والعقيق ... أما الارض فمن الاونكس والمرمر . واستعمل الابنوس بدل الخشب ووضع العاج في الجوانب .. وحليت الابواب بغطاء السلاحف المستحضرة من الهند وزينت بالزمرد . اما الوسائد والكراسي فكانت محلاة بالجواهر . وكانت هناك موائد لاتقدر بمال صنعت من العاج المنقوش..وكان العبيد يسيرون بأجسامهم السوداء اللامعة أو البيضاء وكلهم جميل المنظر أتى بهم من أثيوبيا وبلاد الغال وجرمانيا .. ويحدثنا « بليني » أن أنتوني اشترى عبدين ثمن كل منهما ٨٠٠ جنيه على أساس انهما توءمان بينما كانا من بلدين مختلفين . كما يحدثنا « لوكان » أن كليوباترة كانت ترزح تحت عبء مجوهراتها في ثياب اشترك في صنعها صناع من مصر والصين على شكل نسيج العنكبوت . وقد ملأت تجارة الهند جوانب القصر على سعته .

في وسط هذه المظاهر عاش أنطوان كنصف أوتوقراط الهي شرقي وكان يسره أن يقترن بباكوس أوديونيزوس فيسير في الاعياد في شوارع الاسكندرية في عربة مثل عربة الاله وفوق رأسه تاج من الذهب واكليل من الغار على كتفيه .. وكان يسير في شارع كانوب محوطا بنساء يقفزن ورجال متحمسين والجماهير على جانبي الطريق يصخبون ويهتفون .. وقد خلع يوما دور اله البحر جلاوكوس على صديقه بلانكوس فرقص هذا عاريا ملونا باللون الازرق وفوق رأسه أعشاب البحر وحول وسطه ذيل سمكة .

ولم يكن انطوان يقيم وزنا لكرامته .. وكثيرا ما كان يرى سائرا على قدميه بجوار عربة كليوباترة يتحدث الى الخصيان والخدم من حاشيتها . وسأل الملكة أن تخلع عليه لقب المشرف على الالعاب وهو لقب غير مشرف على كل حال . وكان يلازمها ملازمة الظل فيركب الى

جانبها ويراس الحفلات الدينية والرسمية ويجلس بجوارها فى مجالس القضـاء أو يحل محلها فيهـا . وما أن يرى عربتها حتى يترك المجلس ليجرى نحوها ويعود الى القصر تاركا وراءه المشرعين ورجال الشرطة أو المجرمين الذين كانوا يحاكمون وكلهم يفتح فمه دهشة واستغرابا .

ولسنا نعرف شيئا عن علاقته بأطفاله ولكننا نعرف تماما أنه كان يعتقد أن علاقتـه بكليوباترة عـلاقة لا غبار عليها . فقـد كتب الى أوكتافيوس فى السنة التالية يعجب من أن يقال ان هـذه العلاقة غير مشرفة « ألاننى أعيش مع ملكة فى علاقة ودية ؟ هى زوجتى » أهذا نبأ جديد عليكم ؟ ألم أكن كذلك من تسع سنوات ؟

والواقع أن حياة أنطوان فى الاسكندرية لا تعتبر شيئا اذا قيست بحياة أوكتافيوس مثلا فى روما . فقد كان أوكتافيوس يسخر أصدقاءه ليجوبوا المدينة بحثا عن فتاة تسليه . وكان هؤلاء الرسـل يختطفون الفتيات الشريفات ويمزقون ملابسـهن كما يفعل تُجار الرقيق تماما ليتحققوا من صـلاحية الهـدية . أما أنطوان فلم يقل لنا واحد ممن تحدثوا عنه أنه فعل مثل ذلك .

٨ -

بعد أن انقضى الشتاء توجه أنطوان فى ربيع عام ٣٣ق.م. الى معسكر الصيف فى سورية ليوثق علاقته بملك ميديا حتى يأمن هجمات البارثيين فى حربه المقبلة مع أوكتافيوس .. فمنحه جانبا كبيرا من أرمينيا العظمى . ومنح ملك بونتاس أرمينيا الصغرى .. وتركت الأميرة يوتابا الميدية التى كانت قد زوجت من اسكندر هليوس فى رعاية انطوان حتى تتعلم فى الاسكندرية فأرسل الملك معها الى أنطوان هـدية من النسور كانت قد امسكت فى حصـار عام ٣٦ ق. م. كما قدم اليه فرقة من حملة السهام الخيالة الذين ضايقوا الحملة الرومانية الاخيرة وأعطاه أنطوان بدلا منهم قوة أرسلها الى العاصمة الميدية .

ولما توثقت العلاقة مع ميديا وأمن بذلك جانب البـارثيين عاد أنطوان الى مصر ليقضى شـتاء آخـر واصـطحب معه يوتابا فوصل فى أوائل الخريف . وجاءته الأنباء بأن أوكتافيوس هاجمه بقسوة وعنف فى مجلس الشيوخ وأثار الرأى العام عليه .. وكان انطوان قد سـمع بذلك وهو فى أرمينيا فكتب الى أوكتافيوس كتابا شديد اللهجة رد عليه

أوكتافيوس بكتاب لا يقل عنه عنفا . وأخذ انطوان عليه أنه لم يقتسم الغنائم التى أخذت عن سكتس بوجياس وأنه لم يعد المراكب التى كان قد استعارها فى الحرب البومبية . وأنه لم يشترك معه فى حكم افريقية بعد انسحاب لبيدوس . وأنه وزع الارض الحرة فى ايطاليا بين أجناده فلم يترك شيئا لجنود أنطوان .

ورد عليه أوكتافيوس بقوله انه على اســـتعداد لتقسيم غنائم الحرب حين يشركه انطوان فى أرمينيا ومصر . آما فيما يختص بأرض الجنود فان جند أنطوان ليســـوا بحاجة اليها ما دامت امامهم ميديا وبارثيـــا ..

ولابد أن الاشارة لمصر كواحدة من الممتلكات لا كبلد مستقل قـد ضايقت كليوباترة كثيرا كما ضايقها تعريض أوكتافيوس بحياة أنطوان الشائنة معها . ولكن خفف من حـدة غضبها اعتراف أنطوان بزواجه منها .

وهكذا كانت الشرارة على وشك آن تصيب مخزن البـــارود . ولابد ان حمى القلق كانت تجتاح كليوباترة ولم تصفح عن انطوان حتى نقل معسكر الشتاء الى افسس وارسل الرسل فى كل مكان لاســتدعاء قواته . وساعد كليوباترة فى استعداداتها للحرب التى تمت فى أسابيع قليـــلة . وابحر آنطوان وكليوباترة الى أفســس فى أوائل شـــتاء عام ٣٣ ق . م . على رأس قوة بحرية وحربية كبيرة . ولابد أن السكندريين قدروا مدى ما هى مقدمة عليه ... فلبضع ســنوات خلت كانوا ينحنون أمام نفوذ روما . أما اليوم فانه بفضل مهارة وحنكة وجاذبية ملـكتهم المؤلهة التى تتقمصها ايزيس افروديت يخرج اسطول عظيم ليقضى على روما القوية ..

ولمـا سمعوا كليوباترة تقســـم آن تجلس مع ابنها قيصرون فى الكابيتول . انتشوا بخمر الحماسة والفخر والأمل الذى عقدوه على ملكتهم الالهة .

١ –

جمع أنطوان وكليوباترة قواتهما فى أفسس وهكذا تحولت هـذه المدينة القديمة الى أخطر مركز حربى وبحرى فى العالم · وقد أحضرت كليوباترة معهـــا من مصر أسطولا قويا مكونا من مائتى سفينة حربية وجيش من الجند والبحارة والعمال والعبيد وسحبت من رصيدها ٢٠٫٠٠٠ وزنة من الذهب أو ما يعادل أربعة ملايين من الجنيهات كما أحضرت كميات هائلة من الحبوب والاطعمة والاقمشة والاسلحة والذخائر · وكانت تصل المراكب يوميا محملة بالمؤمن المتزايدة من سورية وأرمينيا وبونت ·· أما أسطول أنطوان المكون من مئات عدة من السفن الحربية فقد احتشد عند النهر · وقد ازدحمت الطرقات ليلا ونهارا بالجيوش وعلى رأسها ملوك الشرق وحكامه اذ أسرع لتلبيـة الدعـوة بوكاس ملك مورتجـانيا · وتاركونديموتاس حاكم كيليكيا العليـا · وأرخلاوس ملك كابادوشيا · وفلادلفوس ملك بانللاجونيا · ومتريداتيس ملك كوماجين · وسادالاس وروميتالكيس ملكا تراقيا · وأمنتـاس ملك غلاطيا · وأسرعوا جميعا ليضعوا أنفسهم فى خدمة أنطوان وملكة مصر ·

ولا ندرى أكان أولئك النـاس على علم بما هم مقدمون عليه وعمن يحاربون أم لا ·· ولكن مما لا شك فيه أنهم أسرعوا لتلبية نداء رجل حكم بلادهم سنين طويلة وكانوا مدينين له بالكثير — وربما بعروشهم — وكان بهم دائما رحيما وعليهم عطوفا فاذا ما هزمه منافسه فقد يكون ذلك وبالا عليهم ونذيرا لهم بالسقوط ·

كانت كل المظاهر تبشر بنجاح أنطوان فأملوا كثيرا من وراء انضوائهم تحت لوائه · وفكروا فيما يمكن أن يعود عليهم من خير كأثر لمعـاونتهم الصادقة · وقد ذكر لنا ديون كاسيوس أن السبب الرئيسى لقيـام هذه الحرب هو رغبة أنطوان فى الاعتراف بحقـوق قيصرون · والواقع أن أنطوان كان ينكر دائما رغبته فى تأسيس ملكية فى روما · بل كان ينادى بأنه يريد هذه الحرب ليضع ابن الدكتاتور — قيصرون — فى مكانه الحق ويزيح من الطريق مغتصب الوراثة أوكتافيوس · أما مركز أنطوان فهو

مركز الوصى على الطفل . وسينهج فى ايطاليا على أسس جمهورية ... وكان من المعروف أن عرش روما سيعرض عليه وأنه سيسلمه الى قيصرون وهكذا تخلق أسرة من دم يوليوس الالهى .

والواقع انه بغير وجود قيصرون لم يكن هناك ما يبرر قيام الحرب فى الظاهر على الأقل . فأوكتافيوس هو الوريث الشرعى لقيصر اذا ما اختفى قيصرون من الوجود . وكان أنطوان يعتزم كذلك ادخال كليوباترة فى السياسة الرومانية بقصد ايجاد عرش لها . وهى الخطوة التى كان يخطوها قيصر لو لم تعاجله خناجر الاعداء والحاسدين .

وكانت الجيوش تحوى جندا من جميع الامم فكان من بينها تسع عشرة فرقة رومانية وجيوش من الغال والجرمان والمور والمصريين والسودانيين والعرب والبدو ورجال قبائل ميديا المتوحشين والأرمن وقبائل البحر الاسود واليونان واليهود والسوريين . وربما لم يجتمع من قبل فى تاريخ العالم مثل هذا العدد من اللغات والاجناس فى صعيد واحد .

ولابد أن كليوباترة فكرت كثيرا فى هذه الجموع الحاشدة التى سوف تدخل المعركة من أجلها . ولا بد أنها عادت بذاكرتها ستة عشر عاما الى الوراء حين كانت ملكة مصر تعتمد على قوة روما . وتحترب من أجل استقلال بلدها وأسرتها . أما الآن فهى تزهو بملك دونه ملك الفراعين وبسلطان لم ينله أحد من أسلافها الأسبقين .

٢ -

فى ربيع ٣٢ ق.م. وصل أربعمائة شيخ رومانى الى معسكر أنطوان وقرروا أن أوكتافيوس أمر كل مناصر لأنطوان أن يرحل عن المدينة . وقد بقى بروما ثمانمائة شيخ هم فى صف أوكتافيوس أو محايدون .. ولم تكن الحرب قد أعلنت بعد من الناحية الرسمية ولكن هذا الاعلان لم يعد ضروريا . وقد بدأ نفوذ كليوباترة ينال الكثير من المعارضة بعد وصول الشيوخ الذين سرعان ما أدركوا أن أنطوان أوتوقراط الشرق وزوج كليوباترة ليس بالرجل الذى يصلح لاستعادة الحكم فى روما . فأظهر بعضهم للملكة الكراهية وطلبوا اليها أن تنسحب من الميدان فى الوقت الحاضر على الاقل وتعود الى مصر تنتظر نتيجة المعركة على أن يبقى قيصرون الذى لا ينكر أحد شرعية ما يسعى اليه .

رأى أنطوان صواب ما يرمى اليه الشيوخ فانضم اليهم فى سؤال

كليوباترة العودة الى الاسكندرية · ولكن يقال انهـا دفعت رشوة لأحد مستشارى أنطوان ليدافع عن وجهة نظرها · وكان من أثر ذلك أن صرف النظر عن الاقتراح وبقيت كليـوباترة مع الجيش بحجة أن الاسطول لا يحارب الا اذا كانت الملكة معه وأن الاموال المصرية يسهل الحصول عليها حين يحتاج اليها اذا كانت كليوباترة فى الميدان ·· وقد أدى بقاؤها الى انقسام الشيوخ الى معسكرين وبدأت تشك فى نوايا أنطوان · بل وبدأت تعتقد أنه سيزيحها من الطريق حين يرى مصالحها تتعارض ومصالحه..
أما بعد ·· فهى التى حفزته للقيـام بهذه الحرب وهى التى أشعلت فيه الرغبة فى اثارتها · وهى التى تولت العمليات الحربية جميعها · وبرغم ذلك فانه كان حتى الساعة الحادية عشرة يكاد يستجيب لدعاة السلام بل وعرض أن ينزع السلاح اذا وافق أوكتافيوس على أن يفعـل ذلك هو الآخر ·. وقد ظنت فى بادىء الامر أن هذا الاقتراح لم يكن سوى دعاية لانها كانت ترى فى اشهار الحرب ثم كسبها وسيلة لتثبيت حقوق ابنها · فانها كانت لا تأمن ما يجد من الأمور مادام لأوكتافيوس قـوة فى روما · وكانت تتوق الى ميناء السلام بعد سنى العواصف ··· وهكذا قر رأيها على أن تضرب ضربة حاسـمة فدفعت أنطوان الى الكتابة الى أوكتافيوس بما لا يحتمل اعتذارا بعد ذلك · وبدأ دعاة السلام يلحون عليه فى اصلاح الامور مع أوكتافيا · ولكن كليوباترة تغلبت فى نهاية الامر فاستقر رأى أنطوان على أن يعبر البحر الى بلاد اليـونان ويقرب بذلك موقع المعركة فأبحر من أفسس فى آخر أبريل الى جزيرة ساموس تاركا جزءا من جيشه وراءه وبقى هناك حوالى أسبوعين أو ثلاثة · وانتقلت مع الجيش فرق من المهرجين والموسيقيين والممثلين · وتنافس الملوك فى اقامة المآدب وتقديم الضحايا لآلهة معابد الجزيرة · ويحدثنا بلوتارك عن ذلك فيقول « بينما العالم كله تقريبا يملؤه الشجن اذ هذه الجزيرة الوحيدة تموج بالعزف والقصف والزمر والرقص والغناء والتمثيل أياما عدة حتى لقد بدأ الناس يتساءلون عما سيفعلونه يوم اعلان النصر اذا كانت هذه المآدب المسرفة تقام قبل الحرب » ··

وعند نهاية مايو عبرت الجموع البحر الى أثينا وأحست كليوباترة بفتور أنطوان نحوها وطالبته بتطليق أوكتافيا واعلان الحرب ولكن أنطوان لم يشأ أن يأخذ مثل هذه الخطوة الحاسـمة فقد رأى نفسه بين أمرين كلاهما مر اذ أنه كان قد وعد كليوباترة أن ينصب قيصرون على عرش روما اذا ما انتصر · فى حين ذكر له الشيوخ أنهم يعقدون عليه الآمال ليستعيد الجمهورية ويصبح مواطنا صالحا ·

والواقع ان مثل هذه المشكلة كانت يسيرة هينة فى شباب انطوان · ولكن قوة ارادته كانت قد أوهنتها المسكرات وأصبح يعتمد على كليوباترة اعتمادا تاما · فقد كان مغرما بها وهو فى الخمسين من عمره وحيويته تتناقص بشكل ملحوظ · وهى لاتزال شابة فى الثامنة والثلاثين تزخر بالحيوية والأنوثة · وربما كانت قلة اكتراثها به سببا فى تمسكه بها · ولعل الملكة كانت تقاسى فى هذه الفترة آلاما ومتاعب مبعثها ذلك التدهور والانحطاط السريع الذى بدأ يظهر جليـــا فى الرجل الذى أحبته ووثقت به · وزاد فى تعقيد الامور وصول أنتيلوس ابن أنطوان البالغ من العمر أربعة عشر عاما · وكانت أوكتافيا تعامله معاملة عطوفة حين كان يعيش فى روما · وكان أنطوان يأمل أن يجعل منه وريثا له · وكانت كليوباترة ترى فيه منافسا خطيرا لابنها قيصرون ·

وأخيرا تمكنت كليــوباترة فى أوائل يونيو من أن تؤثر على أنطوان فاتخذ الخطوات النهائية وطلق أوكتافيا وأعلن الامر للشيوخ وأرسل الى روما رسلا لطرد زوجته من منزله كما أرسل الى جيوشه فى أفسس لتعبر البحر حالا الى اليونان ··· وكان تصرفه ضد أوكتافيا مما دفع الكثيرين من أصدقائه الى اظهار قلقهم وذكروا أنطوان أن مثل هذه المعاملة الخشنة ستفض الكثيرين عن مناصرته فى ايطاليا · والتمسوا اليه أن يخفف من وقع ما فعل فخطب فى جنده واعدا اياهم أن يحقق لهم نصرا شاملا فى مدى شهرين من الزمان وأن يعيد تأسيس الجمهورية ·

وكان هذا الاعلان لطمة قاسية لكليوباترة · أظهرها على نوايا أنطوان وعلى لعبته المزدوجة · وان استمر يظهر ولاء عجيبا واستجابة تامة لمطالب كليوباترة · ولكن حادثة أثارت المعسكر كله هو هجران اثنين من القواد غادراه الى أوكتافيوس أحدهما تيتوس الذى عرفنـــاه عنـــد مقتل بومبى والآخر بلانكوس الذى عرفناه فى الاسكندرية حين طلى جسمه باللون الازرق ورقص عاريا · وقد وصفه فيلافيوس « كأحط متملق للملكة ·· أحط من أى عبد ·· »

وكان الرجلان شاهدين على وصية أنطوان التى حفظت منها صورة عند العذارى الفستيات ، ولما وصلا الى روما أخبرا أوكتافيوس بمحتويات الوصية فأسرع الى معبد قستا · وأخذ الوصية وقرأها على الشـــيوخ · ولعل أشد ما أثارهم وصية أنطوان أن يرسل جثمانه الى الاسكندرية بعد وفاته ليدفن بجوار كليوباترة ·

وبدأ الرجلان يقصان القصص عن أنطوان ويهيلان العار فوق رأس

الملكة . ويرجعان تدله انطوان فى حبها الى جرعات الحب السحرية التى تسقيها اياه سرا • ولقد تحدث الرواة كثيرا عن هذا الحب وعن هـذا السحر • وعنه نشأت القصص الطويلة التى تروى عن « الملكة العاهرة لكانوب التى نذرت أن تثير أنوبيس الذى ينبح ضد جوبيتر وأن تغرق صوت الطبل الرومانى فى آلتها الموسيقية التى تجلجل • » أما أصدقاء أنطوان فى روما فقد أرسلوا جيمينوس الى اثينا منذرين اياه أنه سيعلن عدوا للدولة • وظن أنطوان عند وصول الرسول أنه مندوب من أوكتافيوس فقابله بفتور وجعله هو وكليوباترة هدفا لنكاتهما اللاذعة وتحمل الرجل ذلك بصبر • وحين أسكره الشراب ليلة مع أنطوان سأله هذا عما أتى به الى أثينا فأجاب الرجل بأن لذلك حديثا لا يقال والمرء مخمور • ولكن أمرا واحدا يقـوله المرء صاحيا ومخمورا هو أن عودة كليوباترة الى مصر فى مصلحة كليهما • فغضب أنطوان ولكن كليوباترة أجابت فى هدوء قائلة « أحسنت ياجيمينوس أن أفصحت عن غرضك دون أن تعذب » . وبعد يومين عاد الرجل الى روما .

ولكن رجلا آخر هجر المعسكر هو مركوس سيلاتوس ضابط قيصر فى الغال الذى نقل قصصا عن قوة كليوباترة وضعف انطوان .

وسرعان ما أرسل أوكتافيوس اعلان الحرب ضد كليوباترة لا ضد أنطوان • أما مرسوم اعلانها فقد حرم أنطوان وظيفته وسلطانه لانه سمح لامرأة أن تقوم مقـامه • وأضاف أوكتافيوس أن أنطوان شرب جرعات سلبته حواسه وأن القواد الذين سيحاربهم الرومان هم خصيان البلاد المصرى ماردبون وبوثينوس ومصففة شعر كليوباترة ايراس ووصيفتهـا شرميون ما دام هؤلاء هم أهم مستشارى أنطوان •

هنا بدأت كليوباترة ترى بوضوح أن وجودها هو سبب البلاء كما رأت أن عودتها ستؤدى فى الوقت نفسه الى احتمـال خيانة أنطوان • وأرسل أنطوان الرسل الى روما ليثير الرأى العام الى جانبه • وتوقع أن يبدأ أوكتافيوس بالهجوم ورأى أن ذلك فى مصلحته اذ سيقوى على تحطيم العدو قبل الوصول الى الشاطىء كما كان يرى أن السفر سيضعف الجيش•

٣ -

لم يكن أوكتافيوس ليعرف من أين يأتى المال فى حين كانت مصر مستعدة لدفع أجر الجنود وتموين الجيوش • وقد ساعد ذلك كله على تقوية الروح المعنوية فى جيوش أنطوان الذى ترك أربع فرق فى برقة ،

وأربعا في مصر وثلاثا في سورية ٠ وحصن الجانب الشرقي من البحر المتوسط بحاميات صغيرة وكان الجيش في اليونان مكونا من ١٠٠ر٠٠٠ من المشاة و ١٢ر٠٠٠ حصان ٠ وكان لدى أوكتافيوس ٨٠ر٠٠٠ من المشاة و ١٢ر٠٠٠ حصان ٠

ولما تقدم الشتاء أخذ أنطوان وكليوباترة طريقهما من أثينا الى باتريا٠ وتبادل أنطوان وأوكتافيوس في فترة الانتظار عدة رسائل٠ أما أوكتافيوس فكان قلقا من أجل رجاله وكتب الى أنطوان يتحداه أن يحارب في ايطاليا ٠ ووعد ألا يعوق نزول الرجال والامداد وألا يبدأ المعركة حتى يتم أنطوان استعداده ٠ أما أنطوان فتحداه أن يقف أمامه في معركة فردية وجها لوجه برغم أنه أصبح كهلا ٠٠٠ وقد رفض أوكتافيوس هذا التحدى فدعاه أنطوان الى الحضور بجيشه الى سهول فرساليا لتتم المعركة هناك حيث تحارب قيصر مع بومبى قرابة السبعة عشر عاما ٠ ولكن أوكتافيوس رفض هذا التحدى كذلك وهكذا وقف الجيشان وجها لوجه عبر البحر الأيونى ٠

وأرسل أوكتافيوس يدعو اليه الشيوخ الرومان الذين بقوا مع أنطوان للعودة الى روما حيث يحسن استقبالهم وقد لقيت الدعوة آذانا صاغية ٠ ولكن واحدا لم يجرؤ على تلبيتها برغم حقدهم على كليوباترة وقوة نفوذها مما لا يتفق وخدمة الجمهورية ٠ وقد مسهم اعلان الحرب عليها ــ لاعليهم ــ مسا عنيفا وأكد ذلك أن مراسيم التضحيات للآلهة تمت كأنما الحرب تقوم ضد عدو أجنبى ٠

وجاءت الأنباء بأن مئونة الشتاء نفدت أو كادت وأن الامراض تفتك بالمجدفين والبحارة حتى هلك ثلثهم فبدىء في جمع الفلاحين والمسافرين العاديين وسائقى الحمير وحشدهم في السفن ٠ وقد سببت هذه الأنباء قلقا في المعسكر ٠ ولما توقفت في مارس عام ٣١ ق٠م٠ عواصف الشتاء ود كل رجل في باتريا لو بقى آمنا في بلاده ٠

وضرب أوكتافيوس الضربة الاولى فأرسل قوة احتلت ميتونى ٠ فاستعد أنطوان لاحتلال الشاطىء ٠٠٠ وحين كان يولى ظهره هذه الناحية انزلق أوكتافيوس بجيشه من برنديزى وتورنتو الى كوركيرا ثم الى الشاطىء مارا في أبيروس ناحية خليج امبراشيا مهددا بذلك أسطولا غير معد بالرجال ٠ فأسرع أنطوان نحو الشمال بكل ما وسعه من سرعة ووصل أكتيوم على الجانب الجنوبى من الخليج في الوقت الذى وصل فيه أوكتافيوس الى الناحية المقابلة (الشمالية) ٠ ولما قدر أنطوان أن الهجوم

سينس . . سحب سفنه من مؤخرة المعركة وزودها بالرجال حيث وجد ضرورة لذلك . وبدأ أوكتافيوس المعركة فاحتل أنطوان القسم الجنوبى وكون هناك معسكرا ضخما لحقت به كليوباترة فيه بعد أيام قليلة .

- ٤

لقد أتعبت قصة أكتيوم المؤرخين كثيرا • ولم يقدم واحد منهم حتى الآن تفسيرا للاحداث التى حدثت بها أو الظروف التى أدت اليها وقد اختلفوا فيما بينهم كثيرا حتى ضاعت الحقيقة .

أرسل أنطوان جزءا من جيشه عبر أكتيوم وبذا وضع نفسه فى مركز المتصرف فى الممر الى المياه الداخلية • أما أوكتافيوس فقد بنى حائطا يصل الى شاطىء البحر الأيونى حتى لا يتدخل العدو فى تأخير وصول المؤن اليه ، ووضع سفنه بحيث تتحكم فى مدخل خليج امبراشيا . وهكذا وجد أنطوان أسطوله فى عنق الزجاجة بالنسبة للخليج • ولم يعد فى استطاعته أن يخرج الى البحر آمنا دون أن يحارب فى كل خطوة من الممر الضيق • وهكذا تحكم أوكتافيوس فى البحر الأيونى وأصبح فى وسعه أن يتسلم المؤن والامدادات يوميا من ايطاليا . ولكنه برغم ذلك لم يكن ليستطيع أن يترك معسكره المحصن لأن أنطوان كان يتحكم فى كل البلاد المحيطة به • وهكذا بينما نرى أوكتافيوس يعوق أسطول أنطوان من التحرك داخل الخليج نرى أنطوان يحاصر جيش أوكتافيوس • وبينما يتحكم أوكتافيوس فى البحر المفتوح ويحصل على مؤنه وامداداته من ايطاليا • نجد أنطوان يتحكم فى الأرض ويحصل على مؤنه بسهولة من اليونان •

هكذا وقف المعسكران وجها لوجه وأرسل أنطوان فى يونيه كشافته من الفرسان حول شواطىء الخليج لتقطع الطريق على تموين أوكتافيوس ولكن الخطة لم تنجح • وبعد ذلك بزمن قصير هزم تيتوس جانبا من فرسان أنطوان وأسر « أجريبا » عددا من سفنه خارج الخليج • وأرسل أوكتافيوس الى روما يضخم من شأن هذه الانتصارات ويذكر أنه أوقع أسطول أنطوان فى الفخ داخل الخليج • كما أرسل مندوبين الى بلاد اليونان ليوقعوا الذعر فى قلوب السكان ويزعزعوا ثقتهم فى أنطوان • ولابد أن هذه الانتصارات الضئيلة الشأن أثارت أنطوان وضايقت كليوباترة •

وفى يوليه وأغسطس بدأت الحرارة تزداد وبدأت لسعات البعوض

ورطوبة الصيف تؤثر على نفسـيـة الجيش الذى التمس أن ينسحب الى الداخل وأن يدخل فى معركة مع أوكتافيوس بأسرع ما يمـكن ٠٠٠ وأما كليوباترة فلم تكن ترى ذلك بل كانت تريد معركة حاسمة ينتهى بهـا أوكتافيوس لانها كانت تخشى تقهقرا الى الداخل لا تدرى مايجيء وراءه ٠ وكان من رأى الجيش أن تعود هى الى مصر فلا تبقى عقبة فى وجه أنطوان الذى سوف يصبح بعد انتصاره جمهوريا مثاليا ٠ يضاف الى ذلك أن الانسحاب الى الداخل معناه العدول عن معركة بحرية ٠ فوجود كليوباترة لا معنى له ما دامت لم تزد الحملة بغير الاسطول فوق أن عدم وجودها سيكون فى مصلحة أنطوان اذ تبطل بذلك حجة أوكتافيوس من أنه يعلن الحرب ضدها ٠ هذا الى أن الاموال التى كانت قد جهزت بهـا الحملة نفدت ٠

فاذا ما عدل أنطوان عن الحملة البحرية وعادت كليوباترة الى مصر فان العنصر الجمهورى الغاضب سوف يرضى عن أنطوان ٠٠ وسوف تخف الحملات القاسية التى حملت عليها ٠ وسوف تخمد ثائرة الشيوخ وسوف يقضى على ما داخل صغار الملوك والقواد من حقد وحسد ٠٠

وقد صادفت هذه العروض رضا فى نفس أنطوان فى حين أنها أغضبت كليوباترة التى رأت فيه مرة أخرى رجلا خائرا ٠٠ حطام رجل ٠٠ ليس فى امكانه أن يقيم دعائم العرش الامبراطورى الذى تصبو اليه .. والذى ربما طلقها انصياعا لأمر قواده ٠٠ فأصرت على البقاء واضطر الى الرضوخ الى فكرتها وتنفيذ خطة الهجوم البحرى مما أدى الى خروج ثلاثة آخرين من معسكره وانضوائهم تحت لواء أوكتافيوس ٠ وتوترت العلاقة بين أنطوان وكليوباترة وخشى أن تقتله ووصل ذلك الى أسماعها ٠٠ فأمرت ذات ليلة أن تملأ كاس خمرها من الاناء الذى يشرب منه الجميع وبعد أن تناولت منه جرعة قدمته الى أنطوان وكاد يشربه لولا أن رأى نظرة منها جعلته يتوقف قليلا . وكأنما أرادت أن تضيف منة اليه فقطفت زهرة من شـعرها وغمستها فى كوب الخمر ورفع أنطوان الكوب الى فمه ثانية ولكنها اندفعت فجأة وطوحت بالكوب بعيدا ذاكرة له أن الكوب مسموم وأن السم كان كامنا فى الزهرة وانها اختارت هذه الوسيلة لتبين له أن فى مقدورها قتله اذا كانت تريد ذلك وحتى تبدد مخاوفه التى قامت على غير أساس وليطمئن قلبه ٠

وأظهرت له بعد ذلك الزراية والاحتقار وان أمضهـا القلق وغزاها الشجن ٠

٥ -

دبر أنطوان مع قواده وسيلة لاخراج كليوباترة من الميدان • وكانت أمامه وجهتان : الاولى أن ترحل عبر البحر بأسطولها بعد أن يهاجم أسطول أوكتافيوس. والثانية — وهى أضعف الفكرتين — أن ترسل برا عن طريق آسيا الصغرى وسورية • وهذا يؤدى الى اعتقاد سكان هذه البلاد أنهـا فرت من الميدان •

طلب أنطوان من جيشه وأسطوله أن يحطما الحصـــار فى التاسع والعشرين من أغسطس • وكان هنـــاك عدد من السفن لا يصلح لخوض المعركة فأمر أنطوان بحرقها . واستعدت حوالى ستين سفينة مصرية وثلاثمائة أخرى لخوض المعركة • أما سفن كليوباترة فكانت تحتاج لأشرعة ضخمة لتواصل الرحيل الى مصر • ولذا لم يكن من السهل الاحتفاظ بسر الرحيل فأمر — منعا للشبهات — أن يرفع الاسطول كله الأشرعة الكبيرة بحجة الرغبة فى مطاردة العدو • وقد ساء الجيش أن تصبح المعركة معركة بحرية وطلبـوا اليه أن يحـــارب المصريون والفينيقيون فى البحر وأن يحاربوا هم فى البر •

وفى الثامن والعشرين من أغسطس شحن فوق المراكب عشرين ألفا من المشاة وألفان من حملة الاقواس استعدادا لمعركة الغد • وكانت المراكب أكبر من مراكب أوكتافيوس •

وفى اليوم التـــالى كانت العواصف شديدة وكان من الضرورى أن يتأخر الهجوم أربعة أيام أخرى مما أقلق القائدين دليوس وأمينتاس فهجرا معسكر أنطوان الى معسكر أوكتافيوس ومع الثـــانى ألفان من الفرسان الغلاليين • أما دليوس فربما كان قد سمع عن فكرة رحيل كليوباترة فزود أوكتافيوس بالكثير من خطط المعركة •

وفى أول سبتمبر هدأت العاصفة وأخذ أنطوان ينتقل من مركب الى آخـر ليشجع الرجال . وكان الجو فى صبيحة اليوم الثـــانى من شهر سبتمبر هادئا ورتب رجال أوكتافيوس سفنهم على مبعدة ثلاثة أرباع الميل من مدخل خليج امبراشيا وكانوا مكونين من ثلاثة أقسام : الجناح الأيسر تحت قيادة أجريبـــا والاوسط يقوده لوكيـــاس والأيمن تحت قيـــادة أوكتافيوس •

وعند الظهر بدأ رجال أنطوان يخرجون من الميناء تحت ستار العدد الحربية المصطفة على الجانبين ورأى أوكتافيوس أن من العسير مهاجمتهم فى

الفيالق فانسحب الى البحر تاركا لهم فرصة تشكيل المعركة على الوجه الذى يرونه • وقد تم هذا بسرعة فانقسم الاسطول أقساما ثلاثة وتحرك سوسياس نحو أوكتافيوس وماركوس أنسيقيوس ضد أرنيتوس وأنطوان ضد أجريبا • وكانت السفن المصرية الستون تحت قيادة كليوباترة آخر ما خرج من الخليج • ووقفت خلف القسم الاوسط بعد أن جمع بها فى أثناء الليل مجوهرات ومقتنيات كليوباترة وقد افترقت عن أنطوان فى الصباح وهى غاضبة منه •

وبدأ أنطوان القتال بأن تقدم جناحه الأيسر وحاول أجريبا أن يعوق تقدمه بيمينه فتحركت على اثر ذلك أقسام أنطوان الاخرى واستمرت المعركة حامية ثلاث أو أربع ساعات ظهر جليا بعدها أن أوكتافيوس سيد الموقف •

وكانت كليوباترة فى مكان يسمح لها أن تشهد المعركة كلها وخشيت أن يقتل أنطوان أو يؤسر فعادت بذاكرتها الى ماضيها والى يومها السابق • وتذكرت رغبة أنطوان فى عودتها الى مصر اذا رأت المعركة تكاد تنتهى •• وها هى ذى تكاد ترى النهاية المفجعة وسوف لا تعود الى الاسكندرية بأنباء النصر التى تغطى بها خزيها من حرمانها من عطف رجلها • بل تبحر اليها بعد أن ترى بعينيها آمالها وقد تحطمت وتفر من رجل لم يعد معقد رجائها .. وهى أن بقيت سوف تؤسر ويسرى بها فى موكب النصر ذليلة يجللها الخزى والعار الى الكابيتول ... الى ذلك المكان الذى كانت تنظر اليه فيما مضى بعين الأمل كمكان تتويجها ...

ولقد رأت رجلها الثانى ينهار ••• وهى شابة فى ريعان الشباب ستسمو فوق كل المتاعب وستبدأ حياة جديدة •••

ولما وصلت الى هذا القرار أعطت اشارة الى سفنها ومرقت بين السفن المتحاربة ورآها أنطوان تفعل ذلك فنادى احدى سفنه السريعة وسأل قائدها أن يلحق بسفينة كليوباترة مصطحبا معه رجلين هما الكسندر السورى وسلياس •

- ٦ -

أبصرت كليوباترة أنطوان وهو يتبعها ، ورأت أن خروجها من المعركة انتزع من نفسه كل أمل فى النصر وأضحى فى نظرها رجلا كسيرا مهزوما لا دواء له غير الموت • فان تعلق بها فسيغرق ويغرقها معه • ومع ذلك أبت الا

أن تبقى معه فى هذه اللحظات الأليمة فأمرت بدعوته الى مركبها ولما انتقل اليها انسحبت الى غرفتها ورفضت أن تراه أو تتحدث اليه ...

أما هو فانتقل الى مقدم السفينة ودفن وجهه فى راحتيه .. ومرت ساعات طويلة ثم سمع من بعيد أصوات مجاديف فظن أن رسالة أتته من أكثيوم بها أمل جديد . فطلب الى قائد السفينة أن يستدير ليرى ما هناك على أن يستعد للقتال ان كان القادم عدوا ... ووقف على مقدم السفينة ونادى قائلا « من يتبع أنطوان ؟ » فجاءه صوت من الظلام يقول «أنا بوركل ابن لاخار جئت أنتقم لأبى» . وكان أنطوان قد أمر بقتل لاخار عقابا للسرقة برغم أنه ينحدر من أنبل عائلات البلوبونير وكان ابنه قد جهز سفينة لحسابه وأقسم لينتقمن من قاتل أبيه . وسدد الرجل حربته ولكنه أخطأ الهدف فى الظلام فطاشت فأصابت مركبا مصريا فى حين مرقت المركب التى تحمل أنطوان بسلام .

وعاود جلسته فى مقدم السفينة ولم يغادر مكانه ثلاثة أيام متوالية ويداه معقودتان أمامه واليأس يحتويه .. ومن عجب أنه لم يضع حدا لحياته اذ ذاك ... وأخيرا وصلت السفينة الى ميناء تيفاروس فى طرف شبه جزيرة اليونان الجنوبى وأتته ايراس وشرميون وغيرهما من حاشية كليوباترة واستدعينه اليها فتحدثا معا وطعما ثم ناما ... ولم يسع كليوباترة الا أن ترثى لزوجها التعس .. وجاءت الأنباء فى الصباح بالكارثة التى حلت بأسطوله وأنبىء بأن أكثر من خمسة آلاف من رجاله قتلوا ولو أن الجيش بقى فى مكانه ولم يسلم . فنصحته كليوباترة أن يحاول انقاذ من بقى من رجاله وأن يرسل الرسل من مقدونيا الى آسيا الصغرى ففعل وسأل أصدقاءه أن يتركوه وكليوباترة لمصيرهما وأن يبحثوا عن سلامتهم . ومنحا أعوانهما أموالا وصحافا وأكوابا من الذهب والفضة ليشتروا بها سلامتهم وكتب الى نائبه فى كورنث أن يزودهم بما يلزم حتى يعلن السلام مع أوكتافيوس . وحاول الضباط أن يرفضوا الهبات ولكنه ألح وأصر .. وخرج الاسطول مرة أخرى الى البحر ميمما وجهه شطر شواطىء مصر فوصل بعد بضعة أيام الى البارياتونيام وهى بقعة منعزلة على بعد ١٦٠ ميلا غرب الاسكندرية وكانت تقيم بها حامية رومانية . وعزم أنطوان أن يختبىء هناك فى حين تذهب كليوباترة لتواجه قومها . وقد ظل أنطوان هناك عدة أسابيع يعيش فى كوخ من الطين بجواره شجرة أو اثنتان من النخيل .. وكان جو سبتمبر حارا رطبا وكان يجول على شاطىء البحر يصحبه صديقاه أرستقراط اليونانى ولوكليوس الرومانى .. ورست أخيرا احدى سفنه تحمل اليه أنباء أكثيوم فقيل له ان القتال

استمر حتى مغرب الشمس · ثم انسحب الجنود الى خليج امبراشيا ودعاهم أوكتافيوس الى التسليم فى اليوم التـــالى · ولم يصدق أحد أن أنطوان هرب فرفضوا التسليم ·· ولكن بعض الملوك الموالى سلموا ثـــم تشتتت الفرق في مقدونيـــا وتم التسليم فى التاسع من سبتمبر وأبحر أوكتافيوس الى أثينا · وتقبل خضوع كل مدينة من مدن اليــــونان عدا كورنث وأقيمت له التماثيل فى كل مكان ·

وجاء رسول من الغرب بعد قليل يذكر لانطوان أن الفرق فى شمالى أفريقية قد سلمت الى أوكتافيوس ·· فحـــاول أنطوان الانتحار ولكن صديقيه منعاه وألحا عليه أن يصحبهما الى الاسكندرية ليريح أعصابه برؤية كليوباترة ·

أكتافيوس في مصر

- ١

أصبح أنطوان فى نظر كليوباترة عقبة أمام طموحها بل أصبح وجوده مهددا لكيانها . فهو لم يؤت من الشجاعة ما كان لكاتو المهزوم أو لعمها بطليموس قبرص أو لبروتس بعد فيليبى أو لمئات من الآخرين الذين انتحروا حتى يضعوا حدا لمتاعبهم .. وكان الانتحار فى هذه الظروف مبدأ من المبادئ السامية المنتشرة فى ذلك الوقت ...

وفكرت كليوباترة فى وسائل كثيرة تصون بها عرشها المهدد اذا امتدت اليه يد أوكتافيوس . وكانت أمنيتها أن تحتفظ بمصر مستقلة بعيدة عن نفوذ روما . ولما كان تأسيس امبراطورية مصرية رومانية أصبح بعيد التحقيق بعد هزيمة أكتيوم فان جل ما يهمها الآن هو ابقاء التاج لابنها .. أما بالنسبة للممتلكات التى منحها اياها أنطوان فلم تكن تتوقع أن يطول احتفاظها بها فى حين عزمت على الاحتفاظ بمصر ما بقى فى جسدها نفس يتردد .. وتحولت أفكارها الى الشرق وفكرت فى وسيلة لايجاد حلف مع واحدة من بلاد الشرق البعيدة مثل ميديا أو فارس أو بارثيا أو الهند حتى يقوى مركزها . وكان ابنها اسكندر هليوس ملكا على ميديا .. أفليس من الممكن أن تجد فى فارس أو الهند امتدادا لأملاكها التى تخلفها لقيصرون ؟ أولا يمكن ايجاد نوع من الامتزاج الكبير بين هذه الأمم التى لم تغزها روما من قبل ؟

لا بد أن هذه الافكار راودتها وهى تعبر البحر . ولكنها حين تركت أنطوان فى باريوتونيام بدأت هذه الافكار تنحى منحى آخر .. اذ كان من واجبها أن تمنع وصول أنباء الهزيمة الى العاصمة قبل أن تسيطر على الموقف . ولذا رأت أن تعجل بالوصول قبل قدوم الاسطول بأيام . فزينت مراكبها كأنما عادت منتصرة ووصلت فى أواخر سبتمبر عام ٣١ ق.م. والموسيقى تصدح والبحارة يرقصون والاعلام تخفق . ووصلت السفينة الى الميناء الكبير وحملت منها كليوباترة فى روعتها الملكية الى القصر .. وكانت تحمل معها أوامر مكتوبة من أنطوان موجهة الى الفرق المقيمة بالاسكندرية .. وأمكنها بوساطة هذه الفرق أن تئد أية ثورة تقوم فى

المدينة اذا ما تسربت أنباء الهزيمة . وقد أعدم من حاولوا اثارة الفتنة.. ولما جاءت أنباء الهزيمة كانت هى سيدة الموقف .

ثم بدأت عقب ذلك تنفذ خططها فيما يختص بالشرق فكانت خطوتها الاولى تثبيت معاهدتها مع ملك ميديا . ولعلنا نذكر أن ابنها الاكبر من أنطوان وهو اسكندر هليوس تزوج من بنت ملك ميديا . وكان من الممكن أن يصبح وريث مملكتى ميديا وأرمينيا . وكانت الاميرة الصغيرة تعيش اذ ذاك فى الاسكندرية .

أما خطوتها التالية فكانت القضاء على أرتقسد ملك أرمينيا المخلوع الذى كان أسيرا بالاسكندرية عقب موكب النصر فى عام ٣٤ ق.م. حتى تقطع خط الرجعة على أوكتافيوس فلا يعيـــده الى مملكته . وقد أرسلت رأسه الى ميديا دلالة على اخلاصها .

أما خطوتها الثالثة فكانت نقل سفنهـــا من البحر الابيض الى البحر الاحمر كما رأت أن تقوم ببناء سفن أخرى فى الســـويس حتى تتصل بالشرق عن ذلك الطريق وربما عاودتها أحلامها القديمة فى هذه الفترة ... وكانت ميديا وبارثيا والهند خارج نفوذ روما وكانت ميديا أوثقهـــا وشيجة بمصر. وكانت بارثيا عدوة ميديا تقع بين هذه البلاد الواسعة.. فاذا أمكن للأسطول المصرى أن يدور حول شواطىء بلاد العرب وأن يتصل بالجيوش الميدية فى خليج فارس فان نوعا من السند سوف يدعم التحالف مع الولايات الهندية وبذلك يمكن اخافة بارثيا .

هذا الى أن هذه البلاد البعيدة تصلح مخبأ أمينا لها ولعائلتهـــا اذا ادلهم الخطب ... وبعد أن اطمأنت على ولدها اسكندر بارساله الى مملكته المستقبلة ميديا بدأت تفكر فى ارسال ابنها قيصرون الى الهند ليمهد الطريق لاقتراب أسطولها . ولم يلعب أنطوان فى هذا كله دورا واحدا بل كان يجول على شواطىء باريوتوينام وهو ينوء تحت أعباء الحزن والألم واليأس وخيانة قواده وأصدقائه على السواء وهجرهم اياه . ولكنه عاد الى الاسكندرية فى نوفمبر فأذهله نشاط الملكة . وحاول أن يثبط همتها من ناحية الشرق موهما اياها أن الحاميات المختلفة ما زالت على ولائها . كما تحدث اليها يحدوه الرجاء فى أن يقوم بينه وبين أوكتافيوس سلام تأمن به على عرشها وبهذه الطريقة أراد أن يصرفها عما تعتزم اتيانه من الامور . أما هو فقد أراد أن ينسحب من الحياة العامة ليحيا فى احدى المدن الكبيرة مثل اثينا كمواطن عادى وأدرك كيف قابلته باحتقـــار فرأى أن يتركها للقدر كما رأت هى ابنها قيصرون يخطو نحو الرجولة ورأت نشاطه فى شبابه يعدل مائة رجل مثل أنطوان .

٢ -

ولكن حادثة صغيرة أرجأت انفاذ مشروعاتها اذ أغار بعض العرب على السويس ودفعوا الجيوش المقيمة هناك أمامهم وأحرقوا بعض السفن التى أتى بها من البحر المتوسط والتى صنعت هناك وكان هذا مما جعلها ترجىء السير فى مشروع الشرق . ثم وصل كانيديوس عقب ذلك الى الاسكندرية يحمل أنباء تسليم جيوش أنطوان فى كل النواحى الى أكتافيوس وذكر أنه لم يبق أمامه سوى مصر وجيوشهـــا .. وكان على أنطوان أن ينتحر ولكنه أصر على أن يعيش كما فعل تيمون الأثينى (عدو كل الرجال) . وأصلح لنفسه أحد المبانى القديمة ليعيش فيه . وكانت لدى كليوباترة مشاغلها الخاصة فلم تكترث بما يفعله زوجها وهو بدوره سره ألا تلقى اليه بالا فان ذلك ينقذه من نظراتها ولسانها . وكان يستطيع من مسكنه الجديد أن يرى قصرها وأن يعرف مدى نشاطها ومحاولتها الاتصال بالبلاد المجاورة لتوثيق أواصر الصداقة معها . وكان عليها أن تحكم البلاد حكماً حازما فى هذه الايام العصيبة . وأن تفرض ضرائب ضخمة حتى يتوافر لها المال . وكان من المتوقع أن يغزو أوكتافيوس مصر بين يوم وآخر ولكن ضآلة موارده المالية أخرت هذه العملية . فعبر البحر الى آسيا الصغرى بعد زيارته لاثينا وقام بعمل الترتيبات اللازمة ليتقدم نحو سورية ثم مصر حين يهيىء المال اللازم للقيام بهذه الحملة .

وعند نهـــاية عام ٣١ ق.م. قدم هيرودوس الملك اليهـــودى الى الاسكندرية ليبحث موقف أنطوان صديقه القديم وسنده . ولعلنا نذكر كراهية هيرودوس لكليوباترة ورغبته فى قتلها حين كانت تمر فى بلادها . ويحدثنا يوسيفيوس أنه تحدث مع أنطوان بصدد تدبير مقتلها وأن هذا هو الامل الباقى لانقاذه ولكن أنطوان لم يقبل ذلك . أما فكرة هيرودوس فكانت تتلخص فى التخلص من هـــذه الملكة المتعصبة التى قد تلعب على أوكتافيوس دورا عاطفيا فتستعيد أملاكها السورية والمصرية وهكذا تتاخم المملكة اليهودية مملكةمعادية يخشاها . فلما يئس من موافقة أنطوان على المؤامرة عاد الى بيت المقدس وأبحر الى رودس ليقدم ولاءه الى أوكتافيوس. فحين سمع أنطوان ذلك أرسل وراءه ألكسيس راجيـــا اياه ألا يتخلى عن معونته . وكان ألكسيس هذا يسأل أنطوان دائمـــا أن يطلق أوكتافيا . وكانت كليوباترة توحي اليه دائما بما تشاء حتى يصبه فى آذان أنطوان فينفذه هذا . ولكنه فى هذه المرة لم يكن سفيرا خيرا مخلصا فلم يعد الى مصر من بلاط هيرودوس بل وضع نفسه فى خدمة أوكتافيوس . ولكن علاقته بموضوع طلاق أوكتافيا لم يكن لينساه أخوها فجوزى على خيانته

بالقتل . أما هيرودوس فقد أعلن أمره بوضوح وأمن له عرشه برغم أن الملوك الذين تعاونوا أنطوان نزلوا عن عروشهم .

وفى أوائل فبراير عام ٣٠ ق.م. عاد أوكتافيوس الى ايطاليا ليخمد بعض القلاقل التى نشبت على أثر عدم القـــدرة على دفع الاموال للجيوش المسرحة . ومكث هناك قرابة الشهر ثم أبحر الى آسيا الصغرى مرة أخرى فى مارس .

- ٣

كانت الاحتفالات بعيد ميلاد قيصرون تقام فى منتصف ابريل لبلوغه السابعة عشرة من عمره وقد اعتزمت كليوباترة أن تقيم احتفالات رائعة لتبين أن قيصرون بلغ مبلغ الرجال الناضجين وبلغ السن المناسبة ليصير ملكا.. ولما وصلت هذه الأنباء الى أنطوان فى عزلته ضايقته كثيرا فقد كان قيصرون وحقوقه سبب خرابه ونكسته ومن المؤكد أن جسارة الملكة أرعبته وها هى ذى الاسكندرية تستعد لاقامة الاحتفالات لمنافس أوكتافيوس الذى يدعى عرش قيصر وأملاكه.. أكانت هذه الحركة سياسية حازمة أم تحديا ؟.. ترك أنطوان عزلته وبدأ ينافس كليوباترة وفهم منها أنها تريد أن تتخلى عن الكثير من نفوذها وسلطانها الى ابنها تاركة للشباب أن يتم ما لم يقو عليه الكهول . وكان ابنه أنتلوس الذى جاءه من زوجه فولفيا أصغر من قيصرون بعام واحد وكان يعيش فى القصر السكندرى واتفق أنطوان مع كليوباترة أن يعلن بلوغ الاثنين ويسمح لأنتلوس أن يلبس الزى الشرعى للرجل الرومانى . ويظهر أن كليوباترة خيرت زوجها بين أن يخرج عن كراهيته للناس وعزلته فيساعدها فى تنظيم خطط الدفاع وبين أن يترك مصر كلها . وكان أنطوان قد مل العزلة وسئمها ففرح بمغادرة مكان عزلته واستقر مـرة أخرى بالقصر وحاول مع كليوباترة أن يســتعيد علاقتهما القديمة . ولقد فكر كثيرا فى أخطائه فعـــاشر زوجته بشىء من التحفظ والتشكك والاتهام . أما هى فلم تعد ترضى أن يكون ندا لها وان عاملته بشىء من الشفقة وان ازدرته فى صميمها .

وأقيمت الحفلات وصخبت المدينة أياما عدة ونسى الناس أمر العاصفة المقبلة وكان من الصعب على الزائر أن يصدق أن حكام هذه المدينة هزمهم منذ وقت قريب عدو على وشك أن يطرق أبواب مدينتهم . وبرغم قلق كليوباترة وحزنها احتفظت بمظهر مرح . أما أنطوان فقد تفتحت شهيته للمرح مرة أخرى ودعا أعضاء النادى الذى كان قد أسسه من قبل ليسجلوا

أسماءهم فى ناد جديد أطلق عليه اسم « جماعة الذين يموتون معا » ٠ والحق أن أنطوان لم يكن يميل الى الموت بل كان يمقته وكان يود لو سمح له أن ينسحب كما فعل ثالث الثلاثة لبيدوس ٠

أما كليوباترة فكانت مستعدة لاحتمال ما تأتى به الاقدار ٠٠ سواء كانت كارثة أو موتا ٠٠ ووصلت أنباء عودة أوكتافيوس من آسيا الصغرى الى الاسكندرية فبدأت تجمع أنواع السموم وتتوجه الى السجون لتجربها فى المجرمين بنفسها وأخذت تفحص بدقة أثر تلك السموم وتستبعد منها مايسبب آلاما عنيفة وتستحسن من الانواع التى تخلص الانسان من حياته فى سهولة ويسر ٠ وجربت أثر الأفاعى السامة فى الانسان والحيوان على السواء ٠ ويحدثنا بلوتارك أنها لم تجد خيرا من الصل الذى يسرى سمه فى الجسد فيجلب نعاسا لذيذا وخدرا ولا يترك انفعالات على الوجه كما لا تحس الفريسة معه بأى ألم ٠

ولقد قدرت اذا ساءت الامور أن تنهى حياتها بهذه الوسيلة ٠ ثم انصرفت بعد قبرها هذا الى المشاكل التى كان عليها أن تواجهها ٠

وفى مايو سار أوكتافيوس الى سورية حيث سلمت له جميع الحاميات وأرسل كورنليوس جالوس ليقود الفرق التى سلمت الى شمالى افريقية ٠ واحتل هذا الجيش باريوتونيام التى كان أنطوان قد لجأ اليها بعد أكتيوم ٠

وفى نهاية مايو أرسلت كليوباترة ابنها قيصرون مع مربيه رودون الى قفط ٠ وعبر من هناك الصحراء الى ميناء برينيس فى نهاية شهر يونية ٠ وكان من المتفق عليه أن يبحر مع التجار حين يقومون برحلتهم فى اواسط يولية الى البلاد النائية لتكون له علاقة بملوك هندستان وليرتب نوعا من الامتزاج بين هذه الأمم الشرقية الذى طالما راود كليوباترة فى احلامها ٠

أما كليوباترة فبقيت فى الاسكندرية لتفاوض أوكتافيوس للابقاء على عرشها فاذا فشلت فى ذلك فلتحاربه حتى تموت ٠ ولم يخطر لها الهرب على بال كما لم يخطر ببالها من قبل أن ترافق ابنها ٠ ولعل هذا الفراق كان من أشد الأحداث التى مرت ايلاما لها ٠٠٠ وهى التى كرست جهودها من أجل سلامته ومن أجل تأمين حقوقه زهاء السبعة عشر عاما ٠٠ أما اليوم فهى تسلمه الى أيدى التجار الهنود ليعبروا به البحار المخيفة حتى تنقذه من براثن منافسه الظافر أوكتافيوس فى حين تبقى هى لتحارب العدو وجها لوجه من أجل العرش ٠ ولنا أن نتخيلها تعود بها الذاكرة الى أيام أبيه يوليوس قيصر الذى التمست الى صورته الالهية أن يعاون ابنه على الارض ٠٠٠ ووريثه ٠

- ٤

حاولت كليوباترة وأنطوان أن يفاوضا أوكتافيوس حين رأياه يستعد في يونية عام ٣٠ ق٠م٠ فى أثناء اقامته فى سورية لغزو مصر ٠ فأرسلا اليه يونانيا يدعى يوفرينوس (وكان مربيا لأحد الأمراء الصغار) برسالة طلبت فيها كليوباترة مقابل تسليمها أن يستولى قيصرون على العرش٠ أما أنطوان فالتمس أن يعيش كمواطن فى الاسكندرية أو أثينا ٠ وأرسلت كليوباترة مع هذا الرسول تاجها وصولجانها وعربتها الرسمية بأمل أن يعيدها أوكتافيوس جميعها الى ابنها - ان لم يكن اليها - ولكن هذه السفارة كانت فشلا جزئيا فقد أبى أوكتافيوس أن يصغى الى أية مقترحات بخصوص أنطوان ٠٠٠ أما بالنسبة لكليوباترة فقد أرسل رسالة سرية مع أحد رجاله المدعو ترسوس يبين فيها حسن استعداده من ناحيتها وأنه يميل الى ترك مصر لها اذا سمحت بقتل أنطوان ٠

والواقع أن أوكتافيوس لم يكن يميل الى اظهار أى لون من ألوان الرحمة نحو كليوباترة انما كان يرمى الى خداعها ٠٠ فأنطوان يجب أن يقتل - ان لم يجرؤ على الانتحار - وقيصرون - منافس أوكتافيوس - يجب أن يلقى المصير نفسه . وكليوباترة يجب أن تؤسر حية حتى تمثل فى موكب النصر ٠ ثم ترسل الى المنفى وتسقط بلادها وثروتها فى يديه ٠ وسنرى فى كل معاملاته مع الملكة الرغبة القوية فى أسرها حية ٠٠ فى حين نرى فى علاقته بأنطوان حقدا دفينا وعداوة شديدة .

وكان ترسوس رسول أوكتافيوس شخصية دبلوماسية ذا حذق وذكاء ٠ أمكنه أن يناقش الموقف من جميع نواحيه مع كليوباترة التى أولته عناية خاصة واختلت به طويلا وأظهرت نحوه عطفا كبيرا ٠ ولم يكن يسمح لانطوان أن يحضر اجتماعاتهما مما أثاره وأورثه الكثير من الهم والشك ٠ وليس من المحتمل أن تكون كليوباترة قد وافقت على قتل زوجها وان كانت الظروف قد جعلتها لا تمانع فى أن ينتحر ٠ وربما ناقشت مع ترسوس الوسائل التى يمكن اتخاذها لتذكيره بالتزامات الشرف ٠

وقد سرى لغط كثير عن محاولة أوكتافيوس خلق علائق عاطفية معها مما أغضب أنطوان فدبر مكيدة لترسوس وأعاده الى أوكتافيوس بخطاب يفسر فيه موقفه ٠ وكان هذا الحادث مما أدخل السرور الى نفس كليوباترة اذ اتخذته برهانا على الرجولة الكامنة فى زوجها ٠ ويظهر أنها كانت تتوق لتثبت له أنها لا تخونه كما كانت تتوق لتكشف أوراقها لأوكتافيوس ٠

ولما احتفل بعيد ميلادها في الشتاء السابق من الاحتفال ببساطة ٠٠ولكن لما حل موعد الاحتفال بعيد أنطوان أقامت احتفالات رائعة ومنحت هدايا فخمة لكل أولئك الذين نعموا بضيافتها ٠ وكأنما أرادت أن يعرف الجميع أنه ما دام أنطوان يلعب دور الرجل ٠٠ وما دام سيدخل المعركة الاخيرة بروح المغامرة التى تمتاز بها تصرفاته فانها ستقف الى جانبه حتى النهاية ٠٠ النهاية المحتومة المريرة كما كان ظاهرا ٠٠٠

وبعد أن طرد ترسوس بدأ ينشأ نوع من التفاهم الودى بينهما وبدأ أنطوان يعاود نشاطه القديم ٠ فلما سمع أن جيشا تحت قيادة كورنيليوس جالوس فى طريقه خلال برقة نحو حدود مصر الغربية أسرع بسفن قليلة نحو الباريو ثونيم ليؤمن الدفاع عن هذه الناحية ٠٠ ولكن حين نزل الى البر واقترب من أسوار القلعة ونادى قائدها يستدعيه ٠ رددت الطبول النداء من الداخل فخرجت الحامية وطاردته ورجاله الى الميناء واشتعلت النيران فى بعض سفنه فأبعدته عن الشاطىء ٠ ولما وصل الى الشاطىء سمع أن أوكتافيوس يقترب من الفرما على حدود مصر الشرقية بجيش تحت قيادة ضابط يدعى سلوكاس ٠ ووصلت الانباء الى منتصف يولية أن هذه القلعة سلمت ٠

وكانت أعصاب أنطوان ثائرة فاتهم كليوباترة بالخيانة وبأنها تفاهمت مع سلوكاس على تسليم القلعة الى أوكتافيوس ولكنها أنكرت التهمة ٠٠ ولكى تثبت صدقها أمرت بزوجة وأبناء سلوكاس أن يسلموا الى زوجها ليقتلهم اذا ثبت أنه كانت هناك مخابأة مع الخائن مما دحض التهمة عنها نهائيا ٠٠

ثم عاودت أنطوان شكوكه فأرسل رسوله يوفرينوس الى أوكتافيوس ومعه أنتلوس الصغير ومبلغ من المال ليرشو به العدو ٠٠ أما أوكتافيوس فقد أخذ المال ولكنه لم يصغ لدفاع أنتلوس عن والده ٠٠٠ وقد ضايقت هذه السفارة كليوباترة اذ عجبت كيف تصل الحطة برجل الى درجة أن يبيع نفسه بالذهب ــ ذهب امرأته ــ كما ضايقها كذلك أن أنطوان أرسل الى أوكتافيوس الشيخ تورولبوس مصفدا فى الاغلال (وكان أحد قتلة يوليوس قيصر وآخر الاحياء منهم) ولم يسلمه اليها ما دام ابنها هو وريث قيصر ٠٠٠ وكان معنى ارساله الى أوكتافيوس اعترافا ضمنيا بأنه ممثل الدكتاتور ٠ وقد قتل أوكتافيوس تورولبوس ولما رأى أنطوان ذلك عرف أن قلب أوكتافيوس لا يعرف الرحمة أو الصفح ففكر فى الهرب الى اسبانيا أو الى أى بلد آخر ٠٠ ولكنه عاد فرأى أن يربط مصيره بمصير كليوباترة وأن يقف بجانبها الى النهاية ٠

وبرغم أن موقفهما كان سيئا الا أنه لم يكن ميئوسا منه·فان الفرق الأربع التى تركت مصر فى حرب اليونان كانت بالمدينة وكان جنـــد كثيرون من المصريين داخل الاسوار · وكان بالميناء الاسطول الذى عادمن أكتيوم ومعنى هذا أن قوة يحسب لها الحساب كانت على استعداد للدفاع عن البلاد وكانت الخزانة تدفع الاجور فكانت الحالة المادية للجنود أحسن من حال جنود أوكتافيوس الذين لم تدفع أجورهم لشهور كثيرة ·

ولم تكن كليوباترة مطمئنة الى دعوة أوكتافيوس فان ثمن سلامتها كان رأس زوجها وهى لم تكن على اســتعداد لدفع ذلك الثمن وبرغم أن الظروف كانت تتواطأ عليها لتسلمه الى عدوه فانها استمرت على ولائها له بل كتبت الى أوكتافيوس تتحداه بقولها انه « اذا أراد رأس زوجهـا فيجب أن يتخطى الاسوار ليأخذها بنفسه » ·

وطبقا لعادة القوم فى ذلك العصر كانت كليوباترة قد بنت لنفسها مقبرة ومعبدا جنائزيا ليضم جثمانها بعد موتها · وكانت تحيط بهاأبنية أخرى لأفراد العائلة ورجال البلاط · وكان المبنى لا يقــع فى الجبـــانة الملكية بجانب شارع كانوب بل بجوار معبد ايزيس أفروديت ويطل على البحر · وكان الضريح يمتاز بارتفاعه الشاهق وبدقة صنعه وكان يحوى حجرات عدة وصنع من المرمر الجميل ·

وقد عزمت كليوباترة أن تقيم فى ذلك المكان اذا نجح أوكتافيوس فى حصاره للمدينة فاذا هزمت فانها تنتحر · وكأثر لهذا التفكير جمعت كنوزها من الذهب والفضة والابنوس والعاج وكل حليها من اللآلىء والزمرد والاحجار الكريمة ونقلتها الى الضريح فوق المذبــح حتى اذا ما انتحرت حرقت جثتها مع كنوزها ·· وبعد أن أتمت استعداداتها عادت الى القصر لتقوم بالدفاع عن المدينة ·

— ٥ —

وصلت قوات أوكتافيوس الى الاسوار فى أيام يولية الاخيرة وبدأ أنطوان يستعيد قوته وشجاعته فخرج من المدينـــة وهاجم فرســــان أوكتافيوس وشن عليهم هجوما خاطفا ردهم الى معســكرهم ثم عاد الى القصر معفرا بالتراب ودرعه ملطخة بالدماء ثم لف ذراعيه حول كليوباترة وقبلها أمام كل الرجال ثم قدم اليها أحد ضباطه الذين أبلوا بلاء حســنا فى القتال فأهدته الملكة خوذة فخمة وصدرية من الذهب · وفى الليـــلة

نفسها ترك الرجل صدريته الذهبية وهرب الى معسكر أوكتافيوس ٠ وفى اليوم التالى أرسل أنطوان رسولا الى أوكتافيوس يتحداه فى معركة فردية كما كان قد فعل من قبل فى أكثيوم ولكن أوكتافيوس رد عليه بقوله ان لديه وسائل أخرى للانتحار ٠

ازاء ذلك عول على أن ينهى الأمر بمعركة برية بحرية حاسمة بدلا من أن يجلس منتظرا نتيجة الحصار ٠ ووافقت كليوباترة على هذه الخطة وأعطيت الاوامر للتعبئة العامة فى أول أغسطس ٠

وفى الليلة السابقة أمر أنطوان خدمه أن يقيموا وليمة عشاء فاخرة وألا يدخروا خمرا ماداموا سيستخدمون فى الغد سيدا جديدا فى حين سير قد خليفة باكوس ميتا فى ميدان الوغى ٠ ولما سمع أصدقاؤه ذلك بدءوا يبكون فسارع يقول لهم انه يأمل ألا يموت قبل أن يقودهم الى نصر مجيد ٠٠

وفى أخريات الليل والسكون يسيطر على المدينة ورياح البحر قد سكنت وحرارة الصيف قد هدأت ٠٠ سمع من بعيد صوت المزمار والغناء وأخذت الاصوات تقترب وسمعت صيحات جموع تردد أغنية باكوس ٠٠ ثم سكتت الاصوات دفعة واحدة واستنتج الجميع أن رجال باكوس هجروه الى أوكتافيوس ٠٠

وحين أشرق النهار خرج أنطوان الى جيوشه عند البوابة الشرقية للمدينة ورتبها على مرتفع من الارض على مسافة قليلة من الشاطىء ٠ ومن هذا المكان راقب أسطوله يخرج من الميناء الكبير متجها نحو سفن أوكتافيوس التى كانت على مبعدة ميلين أو ثلاثة شرق المدينة ثم رأى أسطوله يحيى أسطول أوكتافيوس بالمجاديف وينطوى تحت لوائه وتتجه السفن جميعا نحو الميناء الكبير ٠

ورأى من مركزه المرتفع كل فرسانه يقفزون الى خطوط أوكتافيوس وهكذا بقى وحيدا مع المشاة ولم يكن عددهم متكافئا مع العدو ٠٠ ويئس يأسا شديدا فهرب الى المدينة يندد بخيانة كليوباترة ويلطم جبهته ويصب اللعنات على المرأة التى أسلمته الى أيدى أعدائه ٠٠٠ وهربت كليوباترة الى جناحها كأنما تخشاه فى سورة غضبه ويأسه أن يذبحها بسيفه وجرت بأقصى ما وسعها من سرعة مع وصيفتيها ايراس وشرميون فى الحجرات الخالية وممرات القصر ثم عبرت الحوش المهجور حتى بلغت الضريح المجاور لمعبد ايزيس ٠

ويظهر أن كل الموظفين والخدم والحراس هربوا فى اللحظة التى ارتفع فيها الصراخ والنذير بأن الاسطول والفرسان قد سلما الى العدو· واندفعت النسوة الثلاث فى القاعة المعتمة وهن يغلقن الابواب خلفهن ويضعن المتاريس وراءها من مقاعد وموائد القرابين وبعض الأثاث الجنائزى ··· ثم صعدن عقب ذلك الى الغرف العلوية وارتمين فوق الوسائد وهن ممتلئات رعبا وفرقا ·

والواقع أنه ليس هناك من سبب يدفع الى أن نفكر فى امكان خيانة كليوباترة . ولعل تصرفاته أوحى بها الغضب والشك وحدهما .. وعاد اليه رجاله يحملون اليه نبأ انتحار كليوباترة فانفثأ غضبه وهزمته الصدمة وبدأ يدرك أن الشيء الذى كان يبقى على حياته من أجله قد سلبته اياه الاقدار فاندفع الى غرفة نومه وفرق ثيابه ونادى عبده ايروس ليعاونه وبدأ يهذى قائلا « أى كليوباترة · أنا لا أحزن الآن لاننى أفترق عنك فسنتقابل عن قريب ·· ولكن لعل أشد ما يحزننى أننى لم أوهب الشجاعة التى وهبتها » · ثم طلب الى عبده أن يقتله ولكن هذا أبى الا أن ينتحر مفضلا ذلك على أن يقتل مولاه فانحنى فوقه أنطوان وهو فاقد الشعور قائلا « حسنا فعلت يا ايروس » ثم التقط سيفه وقال « لقد أعطيت درسا لمولاك أن يفعل ما لم يساعدك قلبك على فعله بنفسك » ثم طعن صدره أسفل الاضلاع وسقط على سريره ·· ولم يكن جرحه مميتا لساعته بل توقف النزيف واستعاد شعوره واجتمع حوله بعض الخدم المصريين · ولما أدركوا أنه لم يمت تركوا الغرفة وحمل بعضهم النبأ الى الملكة ··· وبعد لحظات أتى ديوميد أحد سكرتيرى أنطوان لينبئه أن الملكة لم تنتحر وأنها أمرت أن ينقل جثمانه اليها ·· فأمر أنطوان خدمه أن يحملوه اليها ·· وكان بعض الناس قد تجمعوا عند باب المبنى ولما رأت الملكة الرجال يحملون جسد زوجها خشيت أن يقبض عليها الرجال حية ليأخذوا المكافأة من أوكتافيوس فلم تسمح بفتح الباب لادخال زوجها بل أمرت بوضعه الى جوار النافذة ثم أمرت بانزال الحبال التى ربط اليها أنطوان وسحبته كليوباترة مع وصيفتيها وكان ذلك عملا شاقا مضنيا ولابد أن بعض الرجال من الخارج ساعدوهن فى رفع جسده الى أعلى ·· ثم حملته الى السرير وبدأت كليوباترة تبكى وتمزق ثيابها · كما حاولت أن توقف النزيف فتلطخت رقبتها ووجهها بالدماء وارتمت الى جانبه تناديه «بسيدى وزوجى وامبراطورى» .. وكان عذابه المرير مما أثار شفقتها وأحيا حبها القديم له · ثم عاد الى شعوره فسقته بعض الخمر حين طلب اليها ذلك ·· وحاول حين أفاق أن يهدىء من لوعتها

سائلا اياها أن تحاول الاتفاق مع أوكتافيوس وأن تثق من بين أصدقاء الغازى جميعا برجل يدعى بروكيليوس وسألها وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ألا ترثى له اذ استدار عنه القدر وانقلبت عليه الدنيا بل تحيا فى ذكرى عزه السالف حين كان أقوى الرجال وأنبههم ذكرا ثم شهق شهقته الاخيرة بين ذراعي المرأة التى تركها وحيدة لتكافح من أجل عرشها وعرش ابنها •

٦ -

كانت كليوباترة فى هذه الآونة في أشد حالات متاعبها ولطخات الدماء التى لوثتها امتدت الى السرير كما انتشرت فوق ملابسها الممزقة • وكانت وصيفتاها شرميون وايراس تضربان صدريهما وتعولان • وكان تحت النافذة جماعة من المصريين والرومان •

وكان الوقت مبكرا قبل العصر وكانت شمس أغسطس اللافحة تضرب في جوانب الحجرة • وكانت الاصوات تسمع من بعيد منبئة باقتراب العدو من القصر • وكانت تتوقع فى كل لحظة أن يطلب اليها أن تسلم أو أن يقبض عليها ولكنها أصرت على ألا تسلم أسيرة بل أمرت أنه اذا جاء النذير أن تشعل النار فى المذبح فتفنى مع حليها ومقتنياتها •

ولم يمر زمن طويل قبل وصول بروكيليوس يسألها باسم أوكتافيوس أن تسمح بلقائه وتحدثت اليه من وراء الابواب مظهرة له استعدادها للتسليم اذا جاءها من أوكتافيوس ما يؤكد لها بقاء مصر لقيصرون •• ولكن بروكيليوس لم يعد بشيء ما . وعاد الى مولاه يصف مركز الملكة •• فأرسل أوكتافيوس معه كورنيليوس جالوس الذى قصد لتوه باب الضريح ونادى الملكة التى حدثته من وراء الباب المغلق • وأخذت الخادمتان تسترقان السمع وهكذا تركتا مكان الحراسة عند النافذة فانتهز بروكيليوس الفرصة ودار حول البناء وثبت سلما من الخارج وصل عن طريقه الى النافذة يتبعه ضابطان رومانيان آخران • وجرى عبر الغرفة غير مكترث بجسد القتيل وخرج الى السلم • وقابل عند نهاية الدرج شرميون وايراس كما رأى عند الباب المغلق كليوباترة وظهرها اليه • فصرخت احدى المرأتين حين رأت بروكيليوس ونادت كليوباترة قائلة « أى كليوباترة التعسة ••• لقد أسرت » فقفزت الملكة واستلت خنجرا لتقضى به على نفسها ولكن بروكيليوس أسرع فأمسك بمعصمها وأسقط الخنجر من يدها الصغيرة وأمسك بذراعيها وأمر الرجلين أن يهزا ملابسها

علها تكون قد أخفت فى طياتها سلاحا آخر أو سما وقال لها « يا للعار يا كليوباترة ·· أنت تسيئين الى نفسك والى أوكتافيوس حين تحاولين أن تضيعى هذه الفرصة الطيبة التى يحاول فيها أن يظهر نحوك عطفه ولسوف تجعلين العالم يعتقد أن أرق القواد شعورا كان عدوا غير صادق الوعد » · ثم أمر ضباطه أن يزيحوا المتاريس وأن يفتحوا باب الضريح· وهكذا أمكنه بمساعدة جالوس ورجاله أن يحرسوا الملكة ووصيفتيها · وسرعان ما وصل رسول آخر من أوكتافيوس برسالة مؤداها معاملة كليوباترة بما يليق بمكانتها واتخاذ الاحتياطات لمنعها من ايذاء نفسها·· فوضعت الملكة تحت الحراسة فى الغرف العلوية بعد أن فتشت جيدا ·

وقبيل الغروب دخل أوكتافيوس الى الاسكندرية وحاول أن يظهر للسكندريين حبه للسلام فطلب الى فيلسوف سكندرى أن يركب معه عربته ومر فى شارع كانوب وهو يمسك بيده ويتحدث اليه ·· وسرت الاشاعات بأن أوكتافيوس ذرف الدموع السخينة حين سمع بمقتل أنطوان وأنه قرأ لبعض أعوانه كتب أنطوان العنيفة اليه وردوده هو اللينة حتى يبين أن العراك فرض عليه فرضا ·

وخرج السكندريون من مخابئهم واجتمعوا فى الجمنازيوم · وعند الغسق وقف أوكتافيوس يتحدث اليهم ·· وحين فعل ذلك خروا على وجوههم سجدا ليظهروا خضوعهم فأمرهم بالوقوف وذكر لهم أنه يعفيهم من كل لوم أولا كذكرى للاسكندر المقدونى الذى أسس مدينتهم . وثانيا من أجل مدينتهم الواسعة الجميلة · وثالثا تمجيدا لالههم سرابيس وأخيرا من أجل صديقه العزيز اريوس الفيلسوف الذى طلب اليه ألا يتلف أرواحهم · ثم عاد الى معسكره وأصدر أوامره بقتل رجال بلاط كليوباترة وأنطوان الذين لم يكن اريوس يميل اليهم · كما قتل أنتلوس ابن أنطوان فى المعبد الذى أقامته كليوباترة ليوليوس قيصر · وحين نفذ الحكم فى الصبى اختلس مربيه الخائن حلية كانت معلقة حول عنقه ولكن أمر السرقة كشف وعرفه أوكتافيوس فأمر بصلبه ·· أما بطليموس وكليوباترة سيلين اللذان بقيا بالاسكندرية فقد أفهم أوكتافيوس كليوباترة أنه سينفذ فى الطفلين الموت ان هى حاولت الانتحار ·· وأما جسد أنطوان فقد ترك لعناية كليوباترة وأصدرت الأوامر لطاعتها فيما يختص بالجنازة · وهكذا تم دفن أنطوان بكل مظاهر الفخامة والروعة فى قبر كان مجهزا له من قبل لا يبعد كثيرا عن قبر كليوباترة·· وتبعته كليوباترة الى قبره وكان منظرها يبعث على الرثاء وهى محوطة بجماعة من النادبات والكهنة يحرقون البخور ويرددون الترانيم وهى تضرب بيدها فوق صدرها

الأسبق (قيصر) وبكت متمنية لو كان حيا ٠٠ وقد واساها أوكتافيوس ما وسعه ذلك ووعدته لقاء عطفه عليها أن تسلمه كل ما تملك ٠٠ وكان أحد خدمها سلوكاس يقف بجانب المذبح فى انتظار أمرها فاستدعته وأمرته أن يسلم أوكتافيوس كل حليها ومجوهراتها المسجلة فى قائمة من القوائم ٠٠ وقد أراد الخادم أن يظهر ولاءه لأوكتافيوس كسيد جديد فتطوع للادلاء ببيان أشياء أخرى لم تكن مذكورة بالقائمة بل خبأتها الملكة من قبل ٠٠ فقفزت من سريرها وأمسكت الخادم من شعر رأسه وهزته الى الامام والى الخلف ولطمته على وجهه وهدأ أوكتافيوس روعها فتعللت بأنها انما أخفت هذه الاشياء لتهديها لأخته أوكتافيا ولزوجه ليفيا فسمح لها بأن تحتفظ بما تشاء ٠ وسره فى صميمه ألا تفكر الا فى الحياة ليتاح لها عرضها فى موكب النصر مكبلة بالاغلال وان لم يكن فى نيته أن يقتلها ٠

وقد أدركت كليوباترة بعد خروج أوكتافيوس ما ينتويه وقدرت ما سوف يحل بها كما عرفت أن لا أمل هناك يرجى من بقاء العرش لقيصرون وأن مصر أصبحت لروما وأن هذه هى نهاية أسرة البطالمة ٠٠ وأنه ليس هناك ما يدعو لبقائها على قيد الحياة ٠

وأتاها دولابلا وأنبأها بأن أوكتافيوس يرى نقلها الى روما مع طفليها فى خلال ثلاثة أيام ٠ وأنه ينوى قتل قيصرون حين يقع على أثره ٠٠ فعولت على الانتحار حين تخيلت نفسها فى موكب النصر وعادت بذاكرتها الى الوراء حين كانت أختها أرسينويه تعرض فى موكب نصر قيصر ٠٠ وتخيلت سخرية الرومان وهزءهم ؛ أولئك الرومان الذين كانت تقدر أن تحكم بلادهم يوما من الايام ٠

ولما استقر هذا العزم فى خاطرها أرسلت رسولا الى أوكتافيوس تستأذنه فى زيارة قبر أنطوان ٠٠ وفى صبيحة اليوم التالى التاسع والعشرين من أغسطس حملت فى محفة الى القبر وبصحبتها وصيفاتها وألقت بنفسها فوق أحجار القبر وهى تحتضنها قائلة والألم يخترمها « أيها العزيز أنطوان » لم يمض وقت طويل منذ أن دفنتك بيدى هاتين ٠٠ كنت حرة اذ ذاك ٠٠ أما الآن فأنا أسيرة ٠ وأنا أقوم بهذه الواجبات الاخيرة نحوك وأنا مخفورة خوفا من أن تدفعنى أحزانى الى أن أسىء الى هذا الجسد فأحرمه من أن يعرض فى موكب الانتصار عليك ٠ لا تنتظر منى تقدمات اخرى فان هذا هو آخر ما يمكن لكليوباترة أن تقدمه اليك لانها يجب أن تؤخذ بعيدا عنك ٠ لم يفرقنا شىء ونحن أحياء ٠ ولكن يظهر

أن الموت يهددنا بالتفرقة . أنت كروماني وجدت قبرا في مصر .. أما أنا كمصرية فانني سأبحث عن قبر لي في بلادك . اذا كانت الآلهة السفلى التي تسكن اليوم معها ستعمل شيئا لي ما دامت الآلهة العليا قد تخلت عني فلا تسمح لزوجك الحية أن تهجر . لا تدعهم يقودونني في النصر من أجل عارك ولكن خبئني .. خبئني . دعني أدفن هنا معك .. فانه من بين كل ما قاسيت في حياتي ليس هناك أسوأ مما أنا فيه اليوم . وليس هناك أسوأ من تلك الفترة التي أقضيها بعيدة عنك ... ثم نهضت ووضعت الزهور فوق قبره وركبت محفتها .. وعادت الى غرفتها .. وحين وصلت هناك أمرت بتجهيز الحمام وبعد أن اغتسلت وتعطرت تناولت طعامها وكتبت خطابا الى أوكتافيوس تسأله أن تدفن مع أنطوان . وحالما أرسلت خطابها أمرت الجميع أن يتركوا الضريح عدا ايراس وشرميون كأنما لا تريد أن يزعجها أحد في ساعة القيلولة .. ولما قرأ أوكتافيوس خطابها توقع ما سوف يحدث فأسرع الى الضريح ولكنه عاد فغير رأيه وأرسل بعض ضباطه الذين فتحوا الابواب فرأوا كليوباترة ميتة فوق سريرها الذهبي في زيها اليوناني الملكي ومزينة بالجواهر الملكية وعلى رأسها شعار البطالمة وتحت قدميها كانت ايراس تلفظ أنفاسها الاخيرة أما شرميون التي لم تكن تقوى على الوقوف فكانت تحاول أن تثبت تاج الملكة فوق رأسها .. فسألها أحد الضباط أيجمل هذا بسيدتها ؟. فقالت ان هذا يجمل بسليلة الملوك ثم سقطت ميتة بجوار الملكة .

ووصلت الانباء الى أوكتافيوس وعلم عن طريق الحراس أن فلاحا أتى يحمل سلة تين سمح له بدخول الضريح فتحول الظن الى أن صلا كان متخفيا في سلة التين . فبحث عنه وأخيرا ذكر أحد الجنود أنه رأى أثر ثعبان متجها من الضريح الى البحر ... ولم يبين فحص الجثة سوى لسعتين خفيفتين على الذراع ربما نجمتا عن عضة ثعبان .

ويقال ان قصة الثعبان لا أساس لها من الصحة وأن الموت حدث كأثر لسم وضع في تجويف أحد أسنان مشط شعر أو أية أداة أخرى ..

ووصل أوكتافيوس واستدعى أطباء الافاعي ليمتصوا السم من الجرح ولكنهم وصلوا بعد فوات الوقت . وحزن أوكتافيوس لفشله ولعله كان متيقنا من موتها نتيجة لعضة الثعبان اذ مثل صورتها في موكب النصر فيما بعد . وحول ذراعها ثعبان .

ثم أمر أوكتافيوس أن تدفن بكل مظاهر التعظيم بجوار أنطوان . وكان قد أرسل لتعطيل قيصرون في برينيس ويظهر أن مربيه رودون

نصحه أن يسلم نفسه لأوكتافيوس فعاد الى الاسـكندرية بعـد موت كليوباترة ثوقت قصير فأمر أوكتافيوس للتو بقتل قيصرون بحجة أنه من الخطر بقاء قيصرين فى العالم معا على قيد الحياة . وهكذا مات آخر البطالمة الفراعين فى مصر وهو الابن والوارث الحقيقي الوحيد ليوليوس قيصر . أما الطفلان الآخران بطليموس وكليوباترة سيلين فنقلا الى روما بأسرع ما أمكن كما أرسل الرسل الى ميديا لأسر اسكندر هليوس .

٨ -

لم يشأ أوكتافيوس أن يضم مصر الى روما بل اعتزم أن يجعلها من الممتلكات الشـخصية حتى لا يثير المصريين .. واتفق مع الكهنة على أن يعلن وريثا ليوليوس قيصر فى عرش البطالمة وسرعان ما تقبله المصريون كمولى لهم . ونرى اسمه على الحوائط « كملك للوجهين القبلى والبحرى .. ابن الشمس ... قيصر الذى يعيش الى الأبد ... المحبوب من فتاح وايزيس » كما أطلق عليه لقب أوتوقراط الذى اخذه عن انطوان والذى كان فى نظر المصريين لقبا ملكيا وراثيا يكتب داخل الخرطوش الفرعونى..

وعلى هذا فان خلفاءه أباطرة الرومان أصبحوا ملوكا على مصر . وكان كل امبراطور حين يعتلى العرش الرومانى يمجد كحاكم لمصر ويسمى فى النقوش المصرية فرعون وابن الشمس . وهكذا رضى المصريون أن يصبحوا لا موالى لروما ولكن رعايا لملكهم الذى اتفق ان كان امبراطورا على روما .

وهكذا وجدت الامبراطورية المصرية الرومانية التى تاقت كليوباترة الى تحقيقها . وقد عرف كل أباطرة روما فى مصر لا كحكام لامبراطورية أجنبية كانت مصر جزءا منها . بل فراعنـة لأملاك مصرية كانت روما جزءا منها ..

ولقد عامل أوكتافيوس ذكرى الملكة بكل تجلة واحترام فلم يسمح بالقاء تماثيلها .. أما كنوزها وصحافها وأكوابها الذهبية والفضية فقد حولت الى نقود دفعت منها أجور الجنود الرومان . واستولى على القصور والاملاك الملكية . ولما عاد أوكتافيوس الى روما فى ربيع عام ٢٩ ق.م. كان قد أصبح رجلا غنيا جدا .

وفى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من شهر اغسطس من العام نفسه أقيمت احتفالات النصر :

أما اليوم الأول فقد خصص للفتوح الاوربية ٠

وأما اليوم التالى فقد جعل يوم أكثيوم ٠

وأما اليوم الثالث فكان يوم الانتصار على مصر ٠٠ وقد جر تمثال كليوباترة والصل على ذراعها فى شوارع العاصمة وسار ابناها اسكندر هليوس وكليوباترة سيلين فى موكب النصر كأسرى وعرضت لوحات تمثل نيلوس ومصر ٠ وأهيل المجد والثناء على أوكتافيوس ومنح لقب اغسطس وأطلق عليه الابن المقدس ما دام وريث قيصر المقدس ٠٠ وقد سره أن يعيش فى ذكرى الدكتاتور الذى أصبح واحدا من آلهة الرومان

ووجد أبناء أنطوان من كليوباترة ملجأ أمينا فى بيت أوكتافيا زوجه المهجورة وكان ذلك عملا حازما من جانب أوكتافيوس فان قتل الاطفال كان مما يثير المصريين ٠ وما دام أوكتافيوس قد أصبح الوريث الشرعى للعرش وليس مغتصبا أجنبيا فان أخته هى التى تؤوى العائلة المالكة

وقبلت أوكتافيا هذا الوضع بكثير من العطف والنبل ونشأت الاطفال مع ابنتيها أنطونيا الكبرى والصغرى ويوليوس أنطونيوس الابن الثانى لأنطوان من فولفيا وشقيق أنتلوس القتيل ٠

ولما كبرت كليوباترة سيلين تزوجت من جوبا ملك نوميديا الذى أصبح فيما بعد ملكا على موريتانيا ٠ وقد سمى ابنهما بطليموس وخلف أباه حوالى عام ١٩ الميلادى ٠٠

ولا ندرى ماذا حدث لاسكندر هيليوس أو لأخيه بطليموس ولكن تاسيتوس يحدثنا أن اسكندر فيلكس والى اليهودية فى عهد نيرون تزوج (كزوجة ثانية) دروسيللا حفيدة كليوباترة وأنطوان التى ربما كانت من عائلة موريتانية أخرى ٠ وماتت أوكتافيا عام ١١ ق٠م٠ وقتل ابن انطوان المسمى يوليوس انطونيوس عام ٢ق٠م٠ لعلاقته الشائنة مع جوليا ابنة أوكتافيوس ٠ أما هى فنفيت الى جزيرة ناندا تيريا القاحلة٠ أما أوكتافيوس فمات عام ١٤ الميلادى وخلفه على عرش مصر وروما ابنه تيبريوس ٠

ولقد ظهر أثر الاسكندرية فى الحياة الرومانية واضحا جليا فى السنين الأخيرة من حكم أوكتافيوس أو أغسطس ٠٠ فقد سافر الفنانون

والصناع عبر البحر الى ايطاليا كما كان يسافر كثير من الملاك الرومان الى أملاكهم فى مصر · وكانت النقوش المصرية والفنون المصرية ترى فى كل بيت · وكان الشعر السكندرى والادب السكندرى شائعا بين الطبقات الراقية ·· وكأنما كانت روح كليوباترة توحى بسياستها من العـــالم الآخر · وكأنما تأسست الامبراطورية التى كانت تطمح كليوباترة فى تأسيسها بكل ظروفها ·· وأن حكمها خط ملكى من أوكتافيوس ابن أخت قيصر لا قيصرون نفسه ابنه ··· ولكن كليوباترة نفسها أصبحت عدوة لروما المستشرفة فلم يدخر كتابها ومؤرخوها وسعا فى تلطيخ اسمها مما كان أساسا لكل المطاعن التى كيلت لها فيما بعد ··

الفهرس

الموضوع	الصفحة
	٧١

الدار القومية للطباعة والنشر